الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي / سرت

كلية الآداب والتربية

الدراسات العليا

قسم علم التفسير والفلسفة

الصُور الجمالية في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية لبعض الصُور الجمالية والمشاهد الفنية في القرآن الكريم)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات نيل إجازة التخصص العالي

(الماجستير) في علم التفسير

إعداد الطالب

بشير الهادي حمودة

إشراف

د. عبدالكريم هلال خالد

مشرف مساعد

د. مصطفى محمد أبوشعاله

العام الدراسي 2008 / 2009

تاريخ المناقشة الإربعاء 2010/02/03 مسيحي

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية قسم التفسير

بحث مقدم لنيل درجة التخصص العالي "الماجستير بعنوان:

(الصور الجمالية في القرآن الكريم)

" دراسة تحليلية لبعض الصور الجمالية والمشاهد الفنية في القرآن الكريم"

إعداد :ـــ بشير الهادي حمودة .

أعضاء لجنة المناقشة:ـــ

1-د. عبد الكريم هلال خالـــد.

2-د.مصطفي محمد ابوشعالـة.

3-د.عبد الله عبد الحميد سويد.

4-د. كريمـــة محمـد أبشيـوة.

توقيع

يعتمد

أ.سعيدة صالح عبد الكريم

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب بالكلية

يعتمد

د. محمد الساعدي اسبيع

أمين اللجنة الشعبية بالكلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـــٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـــٰهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا من فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَـــٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا منَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً فَأَنۢبَتْنَا بِهِ جَنَّـــٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَـــٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10)﴾ .

(الآيات 6 : 10 سورة ق)

الإهـــــــداء

إلى كل من أسهم في تعليمنا، وكان سبباً في إيماننا وتنشئتنا التنشئة الإسلامية على الروح العاشقة لدينها .. إلى كل العاملين على نشر رسالة المحبة والصفاء والجمال في شتى بقاع المعمورة .. إلى كل كائن حي يُسبح بحمد الرحمـــــــن .. إلى كل من يقول : **لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله** ﷺ بقلبٍ مُحبٍ ومُؤمنٍ صادق الإيمان.

إلـى هـؤلاء جميعاً

أهدي هذا العمل

كلمة شكر

الشكر لله وحده سبحانه وتعالى، فمنه التوفيق وبه الاستعانة. واعترافاً بفضل ذوي الفضل، أهل التقدير والاحترام، الذين لولاهم ما ظهر هذا البحث بهذه الصورة، أتوجه بجزيل الشكر وبوافر الامتنان، لكل من وقفوا بجانبي ومدوا لي يد العون، وإن بكلمة طيبة، وأخص من أولئك الكرام بالذكر :

- الأستاذ الفاضل / الدكتور : مصطفى عبدالسلام بعيو، الذي دفعني وشجعني على مواصلة الدراسات العليا.
- الأستاذ الفاضل / الدكتور : عبدالكريم هلال خالد، المشرف على هذا البحث، لما بذله معي من الوقت والجهد، ولصبره ورعايته المستمرة، وكان لإرشاداته وتوجيهاته كبير الأثر على هذه الدراسة، فجزاه الله عني كل خير.
- الأستاذ الفاضل / الدكتور : مصطفى محمد أبوشعاله، المشرف المساعد، الذي كانت له بصمة إيجابية في هذا العمل.
- الأخ والصديق العزيز / أحمد السنوسي مليطان، الذي فتح لي قلبه قبل بيته، والشكر موصول لجميع أفراد عائلته، على ما بذلوه من جهد واهتمام في سبيل راحتي ومساعدتي أثناء الإعداد لهذه الدراسة.
- أعضاء هيئة التدريس بقسم التفسير بجامعة التحدي – سرت، وأخص منهم بالذكر / د.محمد المداعي، د. عيدالله الطاهر، د. مقداد عبود، د. محمد اصبيع، ومكتب الدراسات العليا وعلى رأسهم الأستاذة : رحمة أبوبنينة، والأستاذة : سعيدة عبدالكريم، والعاملين بالمكتبة المركزية بهذه القلعة العلمية، وإلى العاملين بمكتبة أحمد زروق الأهلية بمصراته.
- أصدقائي وصديقاتي زملاء الدراسة أينما كانوا، وفي مقدمتهم الأخ : محمد حسن خيرالله، الأخت الأستاذة : فتحية عياش.
- أما ذلك العالم الصغير، الذي أعيش فيه، ألا وهو – أسرتي – برعاية والدتي – أطَالَ اللهُ عُمْرَهَا – فإني لا أجد ما أُعَبِّرُ بِهِ لهم عن عظيم شكري وتقديري لصبرهم وتشجيعهم لي طوال فترة الدراسة، خاصة، زوجتي التي ساندتني وأخلصت النية في مساعدتي، منذ البداية.

- والشكر أيضاً للصديق العزيز / أحمد علي موسى، الذي قام بطباعة هذا البحث وتنسيقه تنسيقاً فنياً رائعاً، وإخراجه بهذه الصورة الجميلة.
- وختاماً الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل / أ. الدكتور : عبدالله عبدالحميد سويد، عضو لجنة المناقشة، لقبوله مناقشة هذا البحث وما قدّمه لي من نصائح وملاحظات علمية، أثرت هذه الدراسة وزادت من قيمتها العلمية.
- والشكر والتقدير للأخت الفاضلة / الدكتورة كريمة محمد بشيوه، عضو لجنة المناقشة على ملاحظاتها ورحابة صدرها.

فللجميع مني التحية والاحترام.

المقـــــدمة

الحمد لله المنان الذي أنعم علينا بالإسلام، وأكرمنا بالقرآن، هذه المعجزة الدائمة والمستمرة على تعاقب الأيام والأزمان، وجعله ربيعاً لقلوب أهل البصائر والعرفان، ويسره للذكر وحفظه من الزيادة والنقصان.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد، فالقرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب، والسلاح الذي لا يُقهر، والجليس الذي لا يُمل حديثه، فعلى منهاجه وهُداه سارت كتائب الإيمان في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن المعلوم لدينا – نحن المسلمين – أن جمال القرآن الكريم لا يُضاهيه جمال، وليس له حدٌ يقف عنده، فهو جميل في الظاهر، والباطن، جميل في المعنى إذا سمعته أو تلوته، فهو يزداد جمالاً وبهاء وحسناً وروعة، كلما نظرت إليه وتدبرت معانيه، فكلماته أكبر من أن تحدها فصاحة أو بيان، فهي تنفذ إلى القلوب العامرة بالإيمان فتزداد إيماناً ويقيناً، وإلى القلوب القاسية، فتدخل الخشية فيها؛ فالقرآن الكريم وما تحتوي عليه آياته من مشاهد فنية، وصور جمالية، وقَصَصٍ وأخبار للأمم السابقة واللاحقة قد مثّل دوماً الدستور الذي تتحقق به وَحْدَةُ الأمة، وقُوتُها، وتكامل المجتمع وترابُطُه.

والباحث – أي باحث – في علوم القرآن المختلفة لا يُمكنه أن يُحدد هذه العلوم، وذلك لأنها متجددة ودائمة التطور، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان.

كما أن دارس القـــرآن الكريم يجد في آياته الكثير من التصوير الفني البديع، والتنوع في أساليب العرض، بين الوصف والتشبيه، والجدل والحوار، والاستعارة والكناية والمجاز، وغيرها من الصور الجمالية الشائقة ، والمشـــاهد الفنيـــة المتباينة.

وإذا كان لكل أمة من الأمم طابع فني خاص بها، تتميز به، وتتجلى في صُوره وأشكاله نُظُم الحياة وأنماط المعيشة، من عادات وتقاليد، إضافة إلى تصوراتها الكونية، ومعتقداتها الروحية، وسلوكياتها الأخلاقية، وقيمها الجمالية، وابداعاتها الفنية المختلفة، فالمسلمون يحق لهم أن يفتخروا بما لديهم من فنون وعلوم وآداب، فقد استطاعوا أن يقدموا للعالم كنزاً ثميناً يزخر بأنماط وأنساق فنية وجمالية شتى، ارتبطت مفاهيمه وتجلياته وأشكاله، ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحة.

ونظراً لأهمية الجمال في حياة الإنسان، وما يُشاهده من مظاهر الحياة الكونية، وكون الجمال أية من آيات الله سبحانه وتعالى، وإبداعاً من إبداعاته، وكون الجمال رمزاً بارزاً في حياة البشر، وتعلُّق النفس الإنسانية بهذا الرمز، وما ترصده الأعين من مشاهدات يومية، في كل ساعة، بل في كل لحظة من لحظات الحياة.

وللوقوف على بعض هذه الصُّور الجمالية، والمشاهد الفنية في القرآن الكريم، تأتي هذه الدراسة لمحاولة الكشف عن هذه الصور والمشاهد الكامنة في بعض السور القرآنية، لعرضها وتحليلها، ودراستها دراسة فلسفية تهدف إلى إبراز هذه الجوانب الجمالية المضيئة وما فيها من جمالٍ وإبداعٍ فني متكامل.

ومن أهداف هذه الدراسة ما يلي :

- استخراج الصور الجمالية وتحليل بعض المشاهد الفنية الواردة في آيـــات القـــرآن الكريم.

- معرفة وفهم أسرار الجمال في القرآن الكريم، وذلك من خلال التأمل والتدبر في آيات الذكر الحكيم.

- بيان وتوضيح السمات والأصول العامة للجمال الفني والتي تميّز بها القرآن الكريم – ما أمكن ذلك.

كما أن هناك العديد من الأسباب والدوافع، التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة، ومن أبرز هذه الأسباب والدوافع، ما يلي :

1. موضوع الجمال والتصوير الفني في القرآن الكريم، قد أثار اهتمام الباحث، وولّد لديه الرغبة القوية في الدراسة.
2. اهتمام بعض الكُتّاب حديثاً بالفن الغربي، والابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وتراثهم الإسلامي الأصيل، على الرغم من وجود العديد من الدراسات عن الفن الإسلامي.
3. دحض الإدعاءات التي تتهم القرآن الكريم، بأنه كتاب لا يهتم إلا بالمسائل الفقهية والعبادات، والثواب والعقاب، ولا يوجد فيه أي نوع من أنواع الفنون والجمال.
4. الصور الجمالية والمشاهد الموجودة في القرآن الكريم، كثيرة ومتنوعة، تحتاج إلى من يقوم بالكشف عنها ودراستها دراسة علمية تُسهم في الرفع من قُدرات الإنسان العقلية والفنية في تذوق الفن والجمال.

وعندما اختار الباحث (الصُّور الجمالية في القرآن الكريم)، موضوعاً للبحث والدراسة، كان على حُسبان لِما يُمكن أن يواجه هذه الدراسة من مشكلات وصعوبات عدة، منها :

- قلةُ المراجعِ المتخصصةِ في الجانبِ الجماليّ بالذات.

– صعوبة حصر الموضوع وتحديد مكامن الحسن والجمال في النص القرآني، ليقيننا المسبق أن النص القرآني في جملته، يُشكل جمالاً فنياً وأدبياً راقياً.

– اتساع محاور الدراسة، ففي الحديث عن الجمال والتصوير الفني في القرآن الكريم، نجد في بعض السور والآيات القرآنية العديد من أنماط التعبير عن كثير من مفردات الحياة والكون والإنسان والوجود.

وهذه الدراسة ليست الأولى من نوعها في هذا الموضوع، فما هي إلا محاولة من الباحث لدراسة بعض المشاهد الجمالية والفنية في آيات الذكر الحكيم.

ومن خلال الإطلاع المتواضع للباحث على ما توفر له من كتب ومراجع تناولت الموضوع بمختلف جوانبه الجمالية والفنية والبلاغية، فلا بأس هنا من الإشارة إلى بعض هذه الدراسات السابقة، وهي كالآتي :

1. **(عبدالله أحمد عثمان إحميد – إجمال البيان في مباحث علوم القرآن – ط. بدون – جامعة قاريونس، بنغازي – 1978 م).**

هذه الدراسة تهدف إلى إعطاء القارئ فكرة عن تاريخ القرآن الكريم، منذ نزوله، وجمعه وتدوينه، والتعريف بمبادئ علوم القرآن، وتحدد موضوع دراسته، وحاجة الناس إليه، وأهمية علم التفسير، والعلاقة بينه وبين التأويل، إلى جانب الحكمة من نزول القرآن مجزأ إلى سور وآيات، وترتيب كل منها في المصحف الشريف.

2. **(عبدالقادر حسن – مع القرآن في إعجازه وبلاغته – ط. بدون – مطبعة الأمانة، مصر – 1975 م).**

هذه الدراسة ماتعة وشائقة، حيث أبرز فيها الكاتب جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وهو الجانب البياني، المتمثل في الصورة البيانية بصفة خاصة، وما فيها من جمال.

3. (فؤاد علي رضا – من علوم القرآن – ط. 1 – دار إقرأ – بيروت، لبنان – 1982 م).

تناولت هذه الدراسة معنى القرآن الكريم لغةً وشرعاً، وأسماء القرآن، وأهمية نشر اللغة العربية، وتناولت كذلك الرمز في القرآن، والقضـــــاء، وعلـــــم القراءات، والأمثال في القرآن، والقصة القرآنية، والشرح الميسر للحديث النبوي الشريف، والسُنة المُطهرة.

4. (أبو صالح الألفي – الفن الإسلامي – "أصوله، فلسفته، مدارسه" – ط. 3 – دار المعارف، القاهرة – 1984 م).

لقد تم في هذه الدراسة تحديد معالم الحضارة العربية السابقة للإسلام منذ أقدم العصور، وكيف أثرت وتأثرت بغيرها من الحضارات السابقة لها.

هذه بعض الإشارات لعدد من الدراسات السابقة، ومع ذلك فإنه مهما كثرت الأبحاث، وتنوعت الدراسات، ستظل قاصرة عن إدراك ما في القرآن الكريم من كنوز نفيسة، وجواهر ثمينة، تستحق الدراسة والاهتمام.

وفي هذا البحث ــ إن شاء الله تعالى ــ سيحاول الباحث تسليط الضوء، على بعض الجوانب الجمالية، والفنية والإبداعية، للعديد من الصُور والمشاهد القرآنية، مستخدماً المنهج التحليلي والمنهج الوصفي، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، إن لزم الأمر، وذلك لتوضيح ملامح الفن والجمال، والسمات المميزة له، وإبراز أهم القيم الجمالية والبلاغية والفنية، والمظاهر الجمالية في القرآن الكريم، فالإسلام دين فن، وجمال وإبداع.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وفصول أربعة، وخاتمة، على النحو التالي:

– مقدمة البحث :

وتحوي تعريفاً موجزاً بالموضوع ودوافعه وأهدافه، والمشكلات التي واجهته، والدراسات السابقة، وخطوات السير في الموضوع.

- **الفصل الأول : مفاهيم عامة :**

سيبدأ الباحث بإذن الله دراسته بتمهيد حول مفهوم الإسلام دين الفن والجمال، ثم يتناول بعض المفاهيم الخاصة بالصورة الفنية، ومفهوم الجمال بصفة عامة، والصلة بين الفن والجمال عامة، والإسلامي بصفة خاصة، كما يتطرق الباحث لمفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية مُوضحاً أهم الآراء الجمالية لبعض فلاسفة اليونانيين خاصة في الجمال.

- **الفصل الثاني : الجمال في المنظور الإسلامي :**

في هذا الفصل ستكون الدراسة حول معنى الفلسفة الإسلامية، والجمال في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي من خلال آراء أبرز الفلاسفة المسلمين، وكذلك بيان ما للمشاهد الجمالية من تأثير على النفس البشرية.

- **الفصل الثالث : جماليات بلاغية وفنية في القرآن الكريم :**

وفي هذا الفصل يتطرق الباحث إلى تحليل وتوضيح للأسلوب القرآني وجماليات التصوير بالاستعارة في القرآن الكريم، ثم دراسة لفواصل الآيات القرآنية وما تشتمل عليه من موسيقا وجماليات فنية إبداعية.

- **الفصل الرابع مشاهد جمالية وفنية قرآنية :**

سيتناول الباحث في هذا الفصل سمات الجمال القرآني، ثم المشاهد الجمالية الفنية القرآنية، وتناسق هذه المشاهد الجمالية – كما عرضها القرآن الكريم – في الكون وما يحويه من كائنات ومخلوقات، في مقدمتها الإنسان، كما يحوي هذا الفصل عرضاً ودراسةً لمشاهد السعادة والجمال في الجنة، وما أعده الله سبحانه وتعالى من نعيم دائم، وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، أُعدت للمتقين.

- خاتمة البحث :

وفيها خلاصة البحث، وموجز النتائج والتوصيات التي توصل إليها.

وفي ختام هذه المقدمة، يتقدم الباحث بهذه الدراسة، لتكون موضوع (إجازة التخصص العالي – الماجستير–)، راجياً من الله العزيز القدير، أن يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم، وأنه قد قدّم عملاً مفيداً للمكتبة القرآنية، وأن يستفيد به الدارسون. كما يأمل أنه قد أحسن إتباع مناهج البحث العلمي، فمن وقف على هذه الدراسة من أهل العلم والدراية، ورأى فيها شيئاً من الخلل والنقصان، – ولا بد أن يجد – فلا يعمل بالمؤاخذة فيه، فإن الباحث قد توخى الصحة ما وسعه الجهد. وحسب ما ظهر له. فكما يُقال : لكل شيء إذا ما تم نُقصان. فالكمال لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما توفيقي إلاّ بالله. عليه توكلت وإليه أُنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

الفصـــــــــــل الأول

مفـــاهيم عـــامة

تمهيد / الإسلام دين الفن والجمال.

أ. مفهـــــوم الصُـــورة الفـنيـــة.

ب. مفهـــــــوم الجمـــــــال.

جـ. مفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية.

الفصـــــــــــل الأول

مفـــاهيم عـــامة

تمهيد / الإسلام دين الفن والجمال.

ظهر الإسلام في مكة بالجزيرة العربية، داعياً بلسان النبي العربي، محمد بن عبدالله ﷺ إلى الإيمان بالله الواحد القهار، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان.

وقد جاء الإسلام بالقرآن الكريم، هذا الكتاب الذي نزل بلغة العرب الجميلة البديعة الرصينة، ليزيدها جمالاً وعظمة، حيث تشرف العرب به، وأصبحوا بعد الإسلام هداة للبشرية، ورُسلاً للحضارة الإنسانية، وذلك لِمَا يتضمنه القرآن الكريم من تعاليم ومبادئ سامية، ومن قيم نبيلة، ومعاملات وعبادات وأوامر ونواه، إلى جانب حُسن بيانه وبلاغته وفصاحته، لقد جاء القرآن الكريم ((**مُفصلاً بالفواصل ليعجز العرب الذين برعوا في تزيين الكلام بالأسجاع، وتوشيح العبارات بالكلمات المتماثلة في المنطق المؤدية للمعاني، فوجدوا فيه ما يُبهر الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب، بحيث تتقاصر عن بلوغ معانيه قرائحهم، وتتراجع أمام فواصله بلاغتهم وتتفاوت إزاء حقيقة بيانه أفهامهم، فهو القول الفصل وما هو بالهزل**)) [1].

والقرآن الكريم، نزل بطلب العلم والحث عليه، فأول آية نزلت على رسولنا الكريم ﷺ تأمره بالقراءة. وهي قوله تعالى﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**﴾ [2].

إذن فالإسلام دين علم وعمل، دين صلاح وفلاح، دين جمالٍ وفن، دين يحثُ الإنسان على طلب العلم، بل يأمره بذلك، دين يحث الإنسان على طلب الرزق وعدم التكاسل، فقد سخّر الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات، لخدمة هذا الإنسان الذي خلقه الله من طين، وفضّله وكرّمه على سائر المخلوقات، وجعله في المرتبة الأولى، يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز :

﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ**

---

(1) كمال الدين مرسي- فواصل الآيات القرآنية- ط1- جامعة الإسكندرية-المكتب الجامعي الحديث-1420 هـ-1999م- صـ89.

(2) الآيـــات 1 : 5 سورة العلق.

يَتَفَكَّرُونَ (13)﴾[1]، وفي قوله جل من قائل : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)﴾ [2].

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، ليكون خليفته في الأرض، فقد زوده بكل الخصائص والمؤهلات والقدرات العقلية والعلمية، حتى يكون هذا المخلوق أهلاً لهذه الخلافة، التي منحها الله إياه، ليكون أهلاً لمسئولية إعمار الأرض في أعمال الزراعة والصناعة، وغيرها من الأعمال الأخرى التي تهم الإنسان في حياته، لأن ((**إقامة الخلافة في الأرض وإعمارها، يقتضي بعض المؤهلات والإمكانات للقيام بهذه الأعباء، ولذا فقد زود الله الإنسان بما يحتاج إليه من حواس ومدارك وفطرة وعقل، وعلّمه الأسماء كلّها** [*] **وسخّرَ له الكون يستخدمه، وأنشأه في مجتمع فيه يتعاون الجميع، ولكل واحدٍ دوره الخاص به والمتميز. كل ذلك ليُمَكِّنَه من إقامة الخلافة في الأرض**)) [3]. يقول المولى عز وجل : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)﴾ [4].

هذا الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض، وتحمّل مسئولية الأمانة؛ أخذ حرية الاختيار في هذه الدنيا، وصار أمام اختبار وامتحان عسير لا بد له من اجتيازه بتفوق، وذلك بحُسن تصرفه في استعمال كل ما أُتيح له من إمكانات، وكل ما سُخِّر لخدمته في هذه الحياة، ((**فإذا ما استخدم الإنسان كل الوسائل التي أنعم بها الخالق عليه في الأغراض المخصصة لها، حصلت النتيجة المطلوبة، وحقق الإنسان الغاية والهدف الذي من أجْلِهِ خُلق. أما إذا وُضِعَتْ تحت تصرّف الشهوات الماديّة، واستخدمت لغير ما خُصصت له، كانت المصيبة الكبرى إذ صارت عبئاً عليه.**

---

(1) الآيتـــان 12، 13 سورة الجاثية.

(2) الآية 15 سورة الملـــك.

(*) أي مكّنه من التعلم والتعليم.

(3) محمد سعيد غبية – تكريم الخالق للإنسان – ط2 – دمشق، سورية – دار المكتبي– 1420 د – 2000 م – صـــ48.

(4) الآية 72 سورة الأحزاب.

لذلك فالإنسان ظالم نفسه، جاهلٌ بدوره ومهمته التي كُلِّف بها، وجاهلٌ بقيمة ما وُضع تحت تصرّفه)) [1].

إذن لا بد للإنسان أن يُحكِّم عقله، الذي ميّزه به البارئ عز وجل على كافة المخلوقات، ويستخدمه فيما أمر به الله، وأن يسلك طريق الحق والخير، حتى يفوز في الآخرة بالنعيم، وينجو من العذاب يوم القيامة. فلا يكون ظالماً لنفسه، جاهلاً بما منحه الله إياه.

والفن هبة تحتاج لصقلٍ وإعداد، حتى تتلاءم مع الفن الإسلامي الملتزم، لأن مسئولية الفنان المسلم تحقيق مطالب المجتمع، التي غالباً ما تكون موجودة في الفنان، وفي وجدانه وهو يتصور الكون وما فيه من نجوم وكواكب وجبال، وأنهار وبحار، وشمس وقمر. وذلك وفق التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، ((إنه التصور الذي لا يأخذ جانباً من الوجود ويدع جانباً آخر... وإنما يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته، وكل كائناته .. ثم يأخذه كياناً ممتداً بين الدنيا والآخرة على نسق متصل مترابط الأجزاء... ويأخذ في اعتباره "الأحياء" ويصل بينها جميعاً برباط حيّ يخلع عليها صفة الحياة المشتركة التي تربط بين الجميع)) [2]؛ وكأني بلسان حال الفنان المؤمن الملتزم بدينه وفنه، يتأمل صفحة هذا الكون الفسيح بما فيه، ويقرأ فيها قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [3].

ثم يتجه إلى ناحية أخرى ليرى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52)﴾ [4]؛ وبعد ذلك يتحول بنظره للاتجاه الثالث لهذه الصفحة النورانية، ليرى جانباً آخر

---

(1) محمد سعيد غيبة – تكريم الخالق للإنسان – مرجع سابق – ص48.

(2) محمد قطب – منهج الفن الإسلامي – ط5 – بيروت، القاهرة – دار الشرق – 1401 هـ – 1981 م – ص13، 14.

(3) من الآية 29 سورة البقرة.

(4) الآيتان 51، 52 سورة النحل.

مضيئاً مُبهراً في قول المولى عز وجل : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (3) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (4) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ (5)﴾ [1].

وقبل أن ينتهي من قراءاته، يلتفت إلى الجهة الرابعة ويُمعن النظر، ببصره وبصيرته متأملاً خلق الله وقدرته، متفكراً ومعتبراً، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)﴾ [2].

وقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾ [3].

---

(1) الآيـــات 01 : 05 سورة الرحمن.

(2) الآيتـــان 26، 27 سورة آل عمران.

(3) الآيات 189 : 191 سورة آل عمران.

الفصـــــــــــل الأول

مفـــاهيم عـــامة

(أ)

مفهوم الصورة الفنية.

من المعلوم أن الدين الإسلامي خاتم الأديان، وأن القرآن الكريم آخر الكُتب التي أُنزلت على سيدنا محمد ﷺ، والدين الإسلامي دين الحق، ودين العلم والأخلاق والأدب والفن والجمال. الفن الملتزم والصادق، فالقارئ للقرآن الكريم يجد فيه الكثير من الآيات التي تحثُ على الجمال، والزّينة والمظهر الحسن، فقد جاء القرآن الكريم ((**لينسف كل الوثنيات والفلسفات الوضعية ويضع العالم بأسره أمام الطريق الواضح السالك الأمين. ويأتي القرآن وقد تخبطت العقول وتعطلت ملكة المنطق والتفكير، وتشوهت النفوس والضمائر، يأتي ليحاور هذا العقل البشري الذي آن أوان رجوعه الصادق الصحيح إلى سبيل ربه السليم**)) [1]، لأن القرآن الكريم، نهج نهجاً فريداً في عرضه للقضايا والأحداث، والمعاملات التي تضمنها، مخالفاً بذلك كل المناهج والشرائع الوضعية، سواء كانت سابقة له، أو لاحقة، فهو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه وتشريع، وقد عجز العرب على أن يأتوا بسورة أو بآية مثله، وقد تحداهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بل لاَّ يُؤْمِنُونَ (31) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (32)**﴾ [2]. ثم تتدرج التحدي بالقرآن كله، إلى التحدي بأن يأتوا بعشر سور مثله، ولو كانت هذه السور لا أساس لها من الصحة، فقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً الكفار ومتحدياً لهم في قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13)**﴾ [3]، فلما عجز الكفار عن الإتيان بعشر سور مفتريات، تنازل لهم التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة فقط مثل القرآن الكريم الذي نـــزل باللغة التي يتـــكلمون بـــــها، وهم أهل الفصاحة والبيان، فقال لهم متحدياً في أكثر من موضع : ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن**

---

(1) حسن الباش – القرآن وحوار العقل – طـ2 – منشورات كلية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس، الجماهيرية – 1430 من ميلاد الرسول ﷺ – 2001 ف – صـ17.

(2) الآيتـــــان 31، 32 سورة الطور.

(3) الآيـــة 13 ســـورة هـــــود.

دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (22) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (23)﴾ [1].

ويقول الحق تبارك وتعالى في آية أخرى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (38)﴾ [2].

هكذا منهج وأسلوب القرآن الكريم في التحدي لمن كان على ملّة الكفر والنفاق تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يستطيعوا ذلك، فنزل التحدي إلى عشر سور ولو كُن مفتريات كما زعم الكفار – أن القرآن وسوره مفتريات – فلم يتمكنوا، فتحدّاهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقط، فلم يستطيعوا ذلك، رغم ما رأوا وشاهدوا من المعجزات التي ظهرت لهم، ولكن ((**الكفر ملة واحدة، وأساليب التعنت والعناد لدى الكافرين متماثلة، وما صورة مشركي مكة إلا مرآة للمكذبين في كل جيل : لو خرق الله لهم السماء، وفتح لهم فيها باباً، وأعدّ لهم فيها معراجاً، ومكنهم من اختراق حجابها، وصدع بابها، والصعود في معراجها، لكابروا بلا حياء. وأنكروا بعناد عجيب ما رآه بصرهم الحسير، وزعموا أنهم مسحورون، وأن عيونهم مخدّرة سكرى لا ترى إلاّ وهماً وخيالاً**))[3].

وبعد هذا التحدي عجز العرب – وهم أهل البلاغة والشعر والخطابة – عن معارضة القرآن الكريم حتى بسورة واحدة فقط، يأتي الرد الحاسم من رب العالمين مجلجلاً في الآفاق، متحدياً كل الأمم في يقين وثبات قائلاً : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾ [4]. وبهذا القول خرص جميع الكفار وغيرهم من المنافقين على أن يتقولوا على القرآن الكريم، المعجزة الإلهية الخالدة إلى الأبد، والتي

---

(1) الآيتـــــــان 22، 23 سورة البقرة.

(2) الآيـــــــة 38 ســـــورة يونس.

(3) صبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – ط 17 – 1988 ف – إعادة ط، 18 – 1990 ف – بيروت – دار العلم للملايين – صـ47.

(4) الآيـــة 88 ســـورة الإســـراء.

جاء بها الرسول الكريم ﷺ ليُبيّن للناس كافة أن الإسلام دين التوحيد، ودين الحقيقة، ودين الفن والجمال وأنه لا يُقتصر على مجرد الدعوة والإرشاد والتوجيه، ولكنه دين شامل متكامل يجب أن تكون أوامره ونواهيه لكل البشر في كل الأزمان والعصور.

- مفهوم الصورة :

الصورة هي شكل الشيء وهيأته، ومن أبرز التعريفات اللغوية للصورة كما ورد في بعض المعاجم والقواميس اللغوية، ما جاء في (مختار الصّحاح) : ((و الصّوْرُ بكسر الصاد لغة فالصُوَرِ جمع صُورَة. وصَوّرَهُ تَصْوِيراً فَتَصَوّرَ وتَصَوّرْتُ الشَيْءَ تَوَهّمْتُ صُوَرَتَه فَتَصَوّرَ لي. و(التَصَاوِيرُ) التماثيل))[1].

وجاء في المعجم الوجيز، تعريفاً آخر للصورة، هو : ((صَوّرَهُ : جعل له صُورةً مُجَسّمَةً. وصَوّرَ الشيء أو الشخص : رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو الفرجون أو بآلة التصوير.

و ـــ الأمر : وصفه وصفاً يكشف عن جزئياته. تَصَوّرتُ : تكونت له صورةٌ وشكل. وتَصَوّرَ الشّيْءَ : تَخيّلَه واستحضر صورته في ذهنه.

و(التّصَوّرُ) – في علم النفس : استحضار صورة شيءٍ محسوس في العقل دون التّصرف فيه، والتصوُر عند المناطقة : إدراك المفرد؛ أي بمعنى الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات. التّصَوُرِيّةُ – في الفلسفة : المذهب القائل بأن الكليات لا توجد إلاّ في الذّهن، وهو يقابل مذهبي الواقعية والاسمية. التصوير : رسمُ صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط ... الصُورَةُ : الشكل. وصورة المسألة أو الأمرِ : صِفَتُها))[2].

---

(1) محمد بن أبي بكر الرازي – مختار الصّحاح – ترتيب محمود خاطربك – طبعة خاصة – بيروت – دار الفكر، دار القـــــران – 1392 ه – 1972 م – صـــ373.

(2) مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم – جمهورية مصر العربية – 1424 ه – 2003 م – صـــ373.

وهناك ارتباط وثيق بين الجمال والمنظر الحسن، والصورة الفنية الجميلة؛ فالإنسان بطبعه وفطرته، ذواق يحب الحُسن والجمال، ويستهجن القُبح ومواطنه، باحثاً عن مواطن الفن الجمالي والإبداع، وذلك لأن النفس ترتاح إلى المناظر الجميلة، والصور الفنية على السواء؛ باعتبار أن الإنسان هو الفيلسوف الأول على وجه الأرض، وأن الله سبحانه وتعالى قد كرّمهُ وفضّله على جميع المخلوقات.

ومن خلال التطور الذي شهده الإنسان بانتقاله من مرحلة البدائية والعشوائية، إلى التمدن والاستقرار، كانت اللغة هي الوسيلة للتفاهم بين بني البشر حيث إنّ لكل جماعةٍ لغةً مُعينةً وخاصةً، وقد تعددت اللغات بين الشعوب والأجناس، فاللغة لا تنفصل عن حياة الإنسان، فبواسطتها يتعامل مع غيره، وبها يُعبر عن رأيه، وبها يمارس طقوسه الدينية، وبها يستطيع وصف ما يشاهده من أحداث وتصويرها تصويراً دقيقاً؛ وكلما كانت اللغة بسيطة، غير مُعقدة، استطاع الإنسان تركيبها وصياغتها بكل يُسر، وما تتميز به لغتنا العربيـــة، الوضوح والسهولة، وقد شّرفها الله سبحانه وتعالى على سائر اللغات.

ومما زاد اللغة العربية رصانة وجمالاً وشرفاً ورفعة، نزول القرآن الكريم بها دون غيرها، **((فالسمة الإيقاعية، في اللغة العربية، جعلت القافية وموسيقى الأوزان من خصائصها المميزة.))**[1].

فعن طريقها – أي اللغة – يتم تصوير الأحداث والمشاهد التي تمُر بالإنسان، تصويراً دقيقاً، بحيث يكون هذا التصوير بمعنى التخطيط والتشكيل الذي يُكوّن به الصورة والهيأة التي يتميز بها عن غيره من الكائنات.

(1) مراد عبدالجبـــار يوســـف المطلـب – طبيعة اللغـة العـربية وسمـاتـــها – المرجـــع الســـــابق – صـ426.

يقول تبارك وتعالى : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [1]، أي خلقكم في أحسن صورة وأجمل شكل، فأتقن واحكم خلقكم وتصويركم، كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾ [2]، فإن من نظر إلى شكل الإنسان وهيأته وتناسب أعضائه، علم أن صورته أحسن صورة بالنسبة لسائر أنواع الحيوانات، ومن حسن صورته أنه خُلِقَ منتصباً غير منكب على وجهه، فإن قيل : إن بعض الناس قبيح المنظر والشكل. فالجواب : أن ذلك لا يخرجه عن حُسن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيحٌ بالنظر إلى من هو أحسن منه. [3]

---

(1) الآيـــة 64 ســورة غـافر.

(2) الآيـــة 4 ســورة التـــين.

(3) محمد عـــلي الصابوني – صفوة التفاسير – ط 9 – المجـــلد 3 – القـــاهرة – دار الصـــــابوني – ب ت – صـــ391.

الفصـــــــــــل الأول

مفـــاهيم عـــامة

(ب)

مفهـــوم الجمـــال.

في البداية لا بد لنا من تعريف عام ومبسط للجمال، فإن مصطلح الجمال Beauty، يُشير إلى أحد أهم الموضوعات في مباحث الفلسفة الرئيسية، حيث تقوم الفلسفة على ثلاث قيم أو مباحث أساسية هي : **الحق والخير والجمال**. فالجمال بطبيعته نزعة فطرية لدى الإنسان، لأن الإنسان عاشق للجمال بالفطرة، فهو يجد الجمال مُحيطاً به أينما كان، وأينما توجه نحو الطبيعة، أو في الأعمال والإبداعات الفنية المختلفة التي يُبدعها ويتميز بها هذا الإنسان الفنان.

إذن فالجمال موجود في الأصل للأفعال والأخلاق؛ وأما لفظ (جميل) فقد ورد في القرآن الكريم في كثير من الآيات، من بينها : ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)**﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)**﴾ [2]، وفي قول المولى عز وجل : ﴿ **فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (49)** ﴾[3]، ويقول جل من قائل: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً** ﴾ [4]، ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (10)**﴾ [5].

لفظ الجميل في الآيات السالفة الذكر تتحدث عن جمال الأخلاق وحُسنها؛ أما في الآية التالية في قوله تعالى : ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)**﴾ [6]، فالجمال في هذه الآية، هو جمال المنظر والصورة للأنعام حين تروح للمرعى، ومن الجميل اشتق لفظ المجاملة، فهي تعني المعاملة بالجميل والمعروف والإحسان، وحسن المعاشرة.

ومما جاء حول الجمال، ((**(جَمَلَ) الشيءَ – جمْلاً : جَمَّعَهُ عن تفرق (جَمُلَ) – جمالاً : حَسُنَ خَلْقُه. فهو جميلٌ. (ج) جُمَلاءُ. وهي جميلة (ج) جمائل (أَجْمَلَ) في الطَّلَب : إتَّأد واعتدل.**

---

(1) من الآية 85 سورة الحجر.

(2) الآية 18 سورة يوسف.

(3) الآية 49 سورة الأحزاب.

(4) الآية 05 سورة المعارج.

(5) الآية 10 سورة المزمل.

(6) الآية 06 سورة النحل.

وفي الحديث : (أجملوا في طلب الرِّزق فإن كُلاًّ مُيَسَّرٌ لما خلق له) ... و (جَامَلَهُ) : عامله بالجميل، و- : أحسن عِشْرَتَهُ (جَمَّلَهُ) حَسَّنَهُ وَزَيَّنَهُ. (تَجَمَّلَ) : تكلّف الحُسْنَ والجَمَالَ . و- اتَّصَفَ بِما يَجْمُل (اسْتَجْمَلَ) الشيءَ : عَدَّهُ جميلاً ... و(الجَمَال) في الفلسفة، كما هو في اللغة : صفة تُلْحَظُ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضاً))[1]، وقد اشتق مصطلح علم الجمال "اسطاطيقا"، من ((أصل الكلمة اليونانية، Aisthe sis؛ والتعريف بما تحويه علوم الفلسفة ... كما يُطلق على الاسطاطيقا (علم فلسفة الفن) على اعتبار أنها تتوخى الانضباط والشكل المتناسق إلى أبعد الحدود داخل التكوين الفني.

وتنتمي الاسطاطيقا تاريخياً إلى ثقافة العصر الشرقي القديم في مصر وبابل والهند والصين، وهناك شواهد أدبية قديمة على وجودها. حيث تظهر خطوطها في الدين والسياسة والأخلاق والفلسفة)) [2].

ويمكن تعريف الجمال بأنه : ((إدراك أو فعل الحياة في صورها الثلاث : العاطفة والعقل والإرادة)) [3].

وعلم الجمال يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته، وفي الذوق الفني والأحكام المتعلقة بالآثار الفنية. فالمقصود به الإحساس أو العلم المتعلق بالإحساس؛ وهو بمعنى آخر، إدراك القيم. وفلسفة الجمال مبحث من مباحث الفلسفة،ضمن موضوعات مبحث القيم، ((وما لذّة الجمال إلاّ الشعور بهذا الانتعاش العام. فالانفعال الفني هو الذي يملك علينا كياننا في لحظة التذوق، ولا يتم تذوق هذا الجمال إلاّ في نطاق شعورنا بالحرية)) [4]، فبدون شعور بالحرية لا يتم جمال في عالم الحياة، وعالم الفن؛ فالحرية هُنا هي ذلك الوضع الذي يكون فيه الاختيار، فإنه لو قال قائل :

---

(1) مجمع اللغة العربية - المعجم الوجيز - مرجع سابق - ص117.

(2) كمال عيد - فلسفة الأدب والفن- ط بدون- ليبيا، تونس- الدار العربية للكتاب - 1398 هـ- 1978 م- ص25.

(3) فائز أنور شكري - فلسفة الجمال والفن - ط، بدون -الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية - 2004 م - ص20:22.

(4) المرجع السابق - ص25.26.

(**كل فضيلة تكون بين رذيلتين**)، يكون الرد بقولنا أنه بدأ بالقيد، وهو الذي لا يكون لنا فيه حرية ولا اختيار وتفضيل.

فهناك اختلافٌ في النظرة الجماليةِ بين الأشخاص، حيث يختلفُ الناسُ في قَبُولِهِمْ، وميولهم للأشياء الجميلة، وبالتالي فإن الأحكام عليها تكون متباينة حسب طبيعة الأشياء، وحسب طبيعة المتلقي وحالته النفسية، والكل يعرف أن ((**القيم تصدر في أصلها عن العقل، ولكنها تحدد وتتعين حينما تتصل بالواقع. فعلى سبيل المثال : نرى الشيء الجميل ليس جميلاً. لأنه يتضمن معنى إنسانيا عقلياً فحسب، بل أن الجمال الذي نحكم به على هذا الشيء هو نتيجة للعلاقة الجدلية أي للترابط المتفاعل بين الإنسان والطبيعة. أو بمعنى آخر يقوم الحكم الجمالي كنتيجة لعمل إنساني خلاّق يبدأ من معطً طبيعي، ويمر خلال نفسية الفنان، ويستند إلى نظرية إبداعية معينة تشكل المدرسة الفنية التي ينتمي إليها الفنان. فالفن إذن هو : ميدان الدراسة الجمالية الأساسية**)) [1].

وبما أن الجمال في الفلسفة، صفة تُلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس السرور والرضا؛ فإن في الطبيعة أشياء جميلة لو فُقِدَتْ منها، لفقدت الحياة سحرها بالنسبة للإنسان، ولما أصبح للحياة طعم ولا دافع للبقاء. ولكن هناك مميزات للتعبير الجمالي في أنماط الفن المختلفة؛ ولذلك يمكن القول : ((**إن ما يُعرف بالجميل أو التعبير الجمالي في أنماط الفن جميعاً يتميز بخاصية أساسية لا تُفارقه أبداً. وهي خاصيته الوجدانية أو العاطفية.**

وسواء أكان الفنُ للفنِ أم للمجتمع أم للفرد، فهو يقوم في النهاية على المضمون الإنساني مهما كانت صوره وأشكاله ... فقد ظل طوال العصور السالفة قائماً بتحقيق الأهداف الإنسانية والروحية مسهماً في إسعاد الإنسان وتطوره.

---

(1) محمد علي أبوريان – فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة – صـــ48. نقلاً عن : فائزة أنور شكري – فلسفة الجمال والفن – مرجع سابق – صـــ27.

وبذلك اكتسب دوره الحضاري الذي لا يزال مُشيراً إلى أهميته في حياة البشرية وهذا الجانب الروحي الذي يحتويه الفن، جعله في مقدمة العوامل التي تتوحد بموجبها الأمم والحضارات بوصفه رابطة وجدانية عُليا لجميع الأفراد في الأمة الواحدة)) [1].

إذن فالفن سمة إنسانية تُشكل رابطة وجدانية بين جميع أفراد المجتمع، فهو– أي الفن– يتلون بلون البيئة النابع منها، والحضارة المنتمي إليها. فالجمال ليس في الجمال الفني فقط، ولكنه ظاهرة شاملة كُلية، وقيمة مُطلقة موجودة في الأشياء وكامنة مادياً ومعنوياً وجمالياً؛ وقد فُطر الإنسان على الجمالية، فهي موجودة في الكون وفي الإنسان، فكان الجمال دليلاً وحُجةً وتصويراً للحقيقة الخالدة التي أقر بها الإنسان، ألا وهي : وحدانية الله سبحانه وتعالى، الخالق المبدع المصوّر، والصانع للجمال والكمال؛ وما الحواس التي أودعها البارئ عز وجل في الإنسان، إلا دليلاً على قدرته وقوته، جل وعلا. فإن في **((حواسنا ولا سيما حاستي السمع والبصر أليافاً بها نشعر باللذة إذا سمعنا بعض الأوصاف أو رأينا بعض المناظر الطبيعية العديدة في بهائها وجمالها وعظمها))** [2].

وهذا يؤثر في نفوسنا، حيث نشعر معه بالراحة والمتعة والسعادة، ويبعث في قلوبنا الطرب والطمأنينة. فالشيء الجميل، **((ترتاح له النفس، وينشرح له الصدر ... والجميل أيضاً يُغاير النافع، فإن الشيء الجميل حقاً الذي يمنحك لذة لا تكافئها لذة بالتأمل في محاسنه أو بالإصغاء إلى تناسق نغماته ... وتُسمى اللذة التي تحدث من التأمل في الجمال "لذة الجمال". وهي أثر الجمال يُخاطب عواطفنا وخيالنا بواسطة الحواس))**[3]؛ كما أن الجمال يُعد لُغزاً من ألغاز هذا الكون الفسيح، وسرّاً من أسرار الطبيعة، يحسه الإنسان ويراه في الأشياء الجميلة دون أن يعرف لماذا هي جميلة، أو كيف كانت جميلة ؟. وذلك لأن الجمال سُرعان ما يتلاشى وينتهي بمجرد أن يحاول الإنسان تحليله وتفسيره، فالإنسان يحس بالجمال والجميل، ولا يفهمه. وذلك لأن **((الجميل**

---

(1) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – ط1 – بنغازي – جامعة قاريونس – 1998 ف – ص12.

(2) أ. س . رابوبرت – مبادئ الفلسفة – ترجمة. أحمد أمين – ط8 – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – بدون ت – ص34.

(3) المرجع السابق – ص44 : 46.

يبعث في النفس الشعور بالحب والجاذبية واللذة والسرور، والقبيح يبعث الشعور بالكراهية والنفور، ولكن نرى جمال الطبيعة الرائع، والنجوم التي لا عد لها سابحة في الفضاء، منثورة نثر الرمال في الصحراء، والجبال الشامخة، والبحار الشاسعة، وشروق الشمس وغروبها، فنطلق عليها اسم "الجميل"، وهي مع ذلك تُحدثُ في النفس حُزناً عند التأمل فيها، وتبعث نوعاً من الكآبة أو (الوجد) يصح أن نُسميه ألماً لذيذاً)) [1].

ومما لا شك فيه أن نظرة الإنسان للجمال نظرة اعجاب واستحسان، لأن الإنسان بالفطرة، يُحب الجمال ويحبذه، ويكره القُبح ويستهجنه ولا تميل نفسه إليه؛ فالناظر إلى انبلاج الصُبح وقت السَّحَر، يرى أشياءَ جميلةً ومناظرَ خلابةً تأخذ بالألباب، مع العلم بأنها تتكرر في مولد كلِّ صبح جديد.

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وفي أبهى وأجمل صورة، وجعل له حواساً يدرك بها الجمال، حتى أن الطفل يتأثر بالصوت الجميل وينفعل به كما يتأذى بالأصوات المزعجة، وكذلك النفس ترتاح للمناظر والأصوات العذبة والمشاهد الفنية الجميلة؛ وقد خُلق الإنسان جميلاً مُحباً للجمال وعاشقاً له، ففي قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [2]، أي خلقكم وجعلكم في أجمل صورة وأحسنها، حيث خلقه الله بقدرته سبحانه ولطفه وحلمه، على شكل مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيأة، جميلاً متذوقاً للجمال، عابداً لرب الكون الذي أتم وأتقن صُنع كل شيء في هذا الكون الفسيح، سبحانه وتعالى [3].

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ ﴾[4].

---

(1) المرجع السابق – صـ47 :48.

(2) مـــن الآيـــة 64 سورة غافر.

(3) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – تحقيق حامد أحمد الطاهر – المجلد 4 – دار الفجر للتراث-القاهرة – 1423 هـ – 2002 م – صـــ702-703.

(4) من الآيـــــة 64 سورة غافر.

ويقول جل من قائل : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [1].

ويقول أيضاً وقوله الحق : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [2].

وبالنظر في هذه الآيات وتحليلها، يتضح لنا جلياً أن الله سبحانه وتعالى، خلق البشر بصفة عامة في أحسن صورة، وأجمل الأشكال. وهو الخالق والرازق المبدع والجميل، وهو الذي جعل للإنسان الحواس لكي يُدرك بها الجمال ويتذوقه. وبالتالي يعبد الله سبحانه وتعالى، خالق الجمال والكمال، ويتحمل هذا الإنسان الأمانة والمسئولية، ويؤدي الدور المكلّف به في تعمير هذا الكون الذي خلقه الله. وسَخّر كل شيء فيه لخدمة هذا المخلوق. ألا وهو الإنسان.

ويقول المولى عز وجل : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)﴾ [3]، أي بمعنى لكم في هذه الأنعام وهذه المواشي– بالإضافة إلى ما تأكلونه من لحومها، وتشربون من ألبانها– زينة وجمال ومتعة حين رجوعها عشياً من المراعي وهي تُقبل ملائ البطون والضروع؛ ولكم كذلك فيها جمال المنظر وقت غدوها صباحاً للمراعي، مما يزيد الإنسان فرحاً وبهجةً وسروراً ومتعة عندما يُشاهد هذه المناظر للمواشي والأنعام وهي تلعب وترتع وتتراقص وهي سمينة وصحيحة. [4]

لذلك فالإنسان يجد نفسه مشدوهاً ومتعجباً أمام هذه المناظر والمشاهد الربانية التي تدل على قوة وقدرة الخالق سبحانه وتعالى وبديع صُنعه في هذا الكون الجميل، وتُبيّن النظرة الإسلامية للحياة والجمال، باعتبار أن الجمال عنصر أساسي في هذه النظرة؛ فالإسلام دين الفن وحسن وجمال، ولكن من ((خلال التجربة الجمالية المتآلفة مع العمل الفني والاستمتاع الجمالي المتكرر

---

(1) من الآية 08 سورة السجدة

(2) الآيـــة 04 ســـورة التين.

(3) الآيتـــان 6،5 سورة النحل.

(4) محمـــــد علـــــي الصـــابوني – صفـــوة التفـــاسير – مرجـــع ســـابق – صـــ120.

نرى على الدوام أشياء جديدة وعلاقات شكلية جديدة وإدراك لمعاني أوفر واستيعاب للتجربة الجمالية... وتعميق للمعرفة الجمالية من خلال الإدراك الجمالي والقدرة الإبداعية)) [1].

ومن واجبنا نحو حياة التجارب الجمالية والفنية، الانسجام والتأمل والنظر فيها مليّاً، حتى تُصبح هذه التجارب عادية ومألوفة في حياتنا اليومية، فنحن **((نتأمل الجمال الطبيعي والفني ونرتاح إليه، ونعد التجارب الجمالية عنصراً أساسياً من عناصر الحياة الإنسانية العُليا.**

وواجبنا إزاء هذه الحياة الفنية هو أن نجعلها جزءاً من حياتنا العادية، وأن نسير بعملية التذوق والإنتاج الجمالي في طريق التقدم والرُقي. فإن هذا يُعاون على تحقيق الذات الإنسانية العُليا)) [2].

ومن خلال التأمل في التجارب الجمالية والفنية، فإنه يُمكن القول : إن الجمال هو التناسب بين أجزاء الصفات المركبة، للعمل الفني الجمالي، فما كان الوجه أو الجسم الجميل جميلاً إلاّ للتناسب بين أجزائه، وما كان الصوت الشذي الجميل جميلاً وحسناً، إلا للتناسب بين نغماته، فالجمال هو **((إحساس نحس به عند تأملنا موضوعات في الطبيعة، أو أعمالاً فنية أبدعها فنانون. فالجمال غاية في ذاته ولذاته. فنحن لا نحس بالجمال لتحقيق منفعة مادية، ولكن أثناء تأملنا الأشياء الجميلة نحس بمتعةٍ ولذّةٍ روحية، والإحساس بالجمال هو قُدرة تختلف من شخص إلى آخر، حسب القدرة على التذوق الفني))** [3].

---

(1) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – ط 2 – مكتبة منيولي – القاهرة – 1999 م – صـ174.

(2) مجموعة من الأساتذة – مسائل فلسفية- وزارة المعارف – مصر – 1975 م – صـ180.

(3) عايدة صالح الزياني-أثر الخيال في العمل الفني (رسالة ماجستير) جامعة قاريونس- بنغازي.2005- 2006 ف-صـ10.09.

الفصـــــــــــل الأول

مفـــاهيم عـــامة

(1)

مفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية.

تمهيد :

لقد مر (علم الجمال) بالعديد من مراحل التطور، وذلك نتيجةً لجهود الفلاسفة والمفكرين، فمنذ العصر الإغريقي (اليوناني) مروراً بمراحل الفكر المسيحي، والفكر العربي الإسلامي، وصولاً إلى المرحلة الحديثة والمعاصرة. وفي هذا المبحث سيتم دراسة مفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية بشيء من الإيجاز.

ذكر الدكتور (**مصطفى عبده**) في كتابه (**المدخل إلى فلسفة الجمال**) [1]، أن المصريين القدماء قد عبّروا بفنهم عن فكرة الخلود، وعبّر البابليون والأشوريون عن القوة، وأما الهنود فقد عبّروا عن وحدة الوجود، وعبّر الصينيون عن جمال الطبيعة.

ويضيف الدكتور مصطفى عبده في كتابه هذا عن الكيفية التي عبّر بها الإغريق عن "الجمال الإنساني"، حيث كان عندهم "زيوس" وهو رب الأرباب، يُعبّر عن كل شاهق ارتفع في عنان السماء، (وقد عبّر "فينوس" لكونه [2] إله الحُبِّ والجمال، و "أبوللو" إله الحكمة والموسيقا). وقد كان "أريس" إله الحرب والدمار، وكان لكل فنٍ عندهم ربٌّ من (ربات) الفنون من بنات زيوس التسع، وَهُنَّ :

1. كليو = ربة التاريخ.
2. تاليا = ربة الملهاة.
3. تيريشور = ربة الرقص.
4. بوليمنيا = ربة الشعر الغنائي.
5. كاليوب = ربة الشعر الملحمي.
6. ايرانو = ربة الشعر الرثائي.
7. يلبومين = ربة المأساة.
8. أورانيا = ربة الفلك.
9. أوتيوب = ربة الموسيقا [3].

---

(1) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ46.

(2) عـــن كـــونـــه.

(3) المرجع السابق – صـ46.

لقد ترك اليونانيون تُراثاً ضخماً من الإنتاج الفني، فكانت بداية للتفكير الفلسفي الجمالي، والإشباع الجمالي، فهو بالتالي إشباع ما كانت تتوق إليه النفس البشرية من مثاليات في الذوق، وتأملات خيالية قد تحققت في الفنون، وبهذا كان عصر اليونان الأول للفكر الجمالي الإنساني وفلسفته الجمالية، حيث ((**كانت الفترة الإغريقية تُمثل تراثاً متنوعاً وخصباً في كل مجالات الفلسفة؛ بما في ذلك المفهوم الجمالي أو الذوقي في جانبيه : الإبداعي والنقدي ... وكان تصور الفن في عمومه – كما ظهر آنذاك – مرتبطاً بالعقيدة الدينية، فهو يُعَدُّ وحياً من الآلهة التي تختار عدداً من الناس لِتُلهمهم أشعاراً مقدّسة أو ألحاناً خالدةً، وتُوحي إليهم بموضوعات القصص أو الدراما التي يُبدعونها، ولهذا فقد بدأ مفهوم الفن عند اليونان بداية أسطورية أو شبه أسطورية**)) [1]، ففي الفلسفة اليونانية نجد (**هوميروس**) (القرن 9) ق.م، أول من تغنّى بالجمال وله آراء جمالية في أشعاره، خاصةً في الإلياذة الأدوسية، وله ألفاظٌ جمالية مثل : (الرائع، الجميل، الجمال، والكمال)، وكان هوميروس ميالاً إلى تقريب مفهوم الجمال من مفهوم الكمال، فقد ميّز بين الجمال والكمال والخيرة والفائدة. أما عن مثله الأعلى من الجمال هو الجمال الإنساني، والطبيعة عنده ينبوع الجمال الدائم.

ثم يأتي بعد ذلك الشاعر (**هزيود**)، (القرن 8) ق.م، حيث تميّز مفهوم الجمال عنده بالتغني بالجمال الخارجي الظاهري وما يحويه من ملامح وألوان،فالجمال عنده ما يسر البصر. وكانت (المرأة) عنده تمثل ينبوع الجمال، وكل ما له علاقة بالبحر فهو جميل عند هزيود.

أما (**هيراقليطس**) : (476 – 480) ق.م، فهو أول من قال بالنسبية في الجمال، حيث قال : إن أجمل قرد يبدو لنا قبيحاً إذا ما قُورن بأقبح إنسان، وأجمل إنسان يبدو لنا قبيحاً إذا تمت مقارنته بالآلهة. فالنسبة عنده مردها إلى اختلاف الأنواع، ثم تحدث عن الحركة والتغيير، وأن الكون متغير، أي متحرك في المكان والخصائص [2].

---

(1) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – مرجع سابق – ص19.

(2) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق –ص48 : 50.

يتطـــرق الدكتـــور مصطـــفى عبـــده، في حديثه عن الفكر الجمالي عند (سقراط، (470 – 399) ق.م؛ حيث اعتبر سقراط رائداً من رواد الفكر الجمالي، فبعد انصرافه عن الفن مازال يتردد على الفنانين يتحدث معهم عن طبيعة الفن ومعايير الحكم الجمالي، فقد كان سقراط يرى أن الجميل هو المُفيد، ويُقدّر فائدته.

وأن الفن تقليد للطبيعة ومحاكاة لها، وأنه يجب تأسيس مفهوم الجمال على الجمال بذاته، وتمييز الجمال بصفته الجمالية من الأشياء الجميلة. فقد أشاد سقراط بالحُب المثالي الذي تُليمه فينوس السماوية، ودعا إلى تحكيم العقل في السلوك الإنساني، مما جعل حُكمه على الفن بمعيار أخلاقي مرجعه الذات والضمير [1].

أما المُثل عند سقراط، فإنها تتصف بالثبات والخلود فيرى أن الجميل، هو ما يُحقق منفعة ومتعة، في حين أن هناك أشياء تُحقق منفعة ولكنها لا تتصف بأي صفة من صفات الجمال، وذلك لأن الجمال شيء والمنفعة شيءٌ آخر، كما يركز سقراط على الإنسان الرائع روحاً وجسداً، والذي يجب على الفنان إعادة تجسيده.

ولكن النظر إلى الأشياء الجميلة ذات المنظر الحسن والتأمل فيها يُحقق للناظر متعة ومنفعة، وهي ما يُسمى بـــلذة الاستمتاع بهذا الحُسن والجمال، وهذه ليست منفعة مادية مباشرة، وإنما هي منفعة ومتعة روحية نفسية، مما جعل سقراط من أنصار الجمال الروحي والباطني، ومن خصوم الجمال الشكلي والظاهري. [2]

وبذلك يكون سقراط بما قدّمه من آراء ونظريات فلسفية في الجمال، قد فتح الطريق لهذا العلم في تاريخ الفكر الجمالي والفلسفة الجمالية أمام أفلاطون، ومن بعده أرسطو.

– **أفلاطون** : (427-348) ق. م، بدا أفلاطون بكتابة الشعر والرسم، وفلسفته أفلاطون فلسفة جمالية وقد كان لها كبير الأثر في العديد من المذاهب والفلسفات الجمالية، من بعده؛ حيث ((عُدت

---

(1) المرجع السابق – صـ 52،51.

(2) مصطفـــى عبـــده – المـــدخل إلى فلسفـــة الجمـــال – مرجـــع ســـابق – صـ 52،51.

جمالية أفلاطون جمالية تصاعدية ومتسلسلة من درجة إلى أخرى، حيث يتم التوصل إلى المفهوم السامي للجمال باتحاد الجمال والخير. فقد رأى أفلاطون أن في أصل كل جمال، لابد من جمال أولىّ يجعل الأشياء جميلة)) [1].

والجدير بالذكر أن أفلاطون قد ربط بين الحُب والجمال، حيث جعل الحُب ينبع من الجمال دائماً، والحُب ليس له دافع ولا هدف إلاّ الجمال.

ولم يكتف بذلك، بل ربط الجمال بعالم المُثل، وأن الشيء – حسب رأي أفلاطون – يكون جميلاً بقدر جمال المثال، فالجمال عنده **((يوجد في عالم المُثل مُتميز عن العالم الطبيعي))**[2]؛ ففي فلسفة أفلاطون، نجد أن الجمال قد احتل مكانة كبيرة وعظيمة، فقد جعل للجمال درجات ومراتب ومراحل ثلاث، هي :

((1. الجمـــــال الشكلي أي جمـــــال الأشكـــــــال (الجمال الحسي).

2. الجمال الأخلاقي والعقلي أي جمال الأفكار وهو (جمال المعرفة).

3. الجمـــــال المُطلـــق أي الجمـــال الأبـــــدي (الجمال المثـــالي)) [3].

ومن ضمن آراء أفلاطون، أنه قد جعل من الجمال فضيلة كُبرى ووسيلة نحو الصلاح، وقال بأن الجمال مُحاكاة لعالم المُثل، فالجمال عنده، ينبع من نظرية المُثل، فكلما كان الشيء قريباً من المثال، كان في أجمل صورة، أي بمعنى أن يكون الشيء جميلاً كاملاً وتاماً عندما يُحاكي المُثل[4]. ومن المؤكد والواضح في هذا الصدد، أن الجمال الحقيقي والكامل عند أفلاطون الذي ينتمي إلى عالم المُثل هو : **((الجمال الأرضي المحسوس الذي يُحاكي ذلك المثال ويكون جميلاً بقدر تلك المُحاكاة، أو بقدر ما يقرب منه.**

---

(1) المرجع السابق – صـــ53.

(2) رجب بودبوس – نقد العقل الاقتصادي – ط 1 – جـــ1 – مصراته – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – 2000 ف – صـــ53.

(3) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـــ53.

(4) المرجـــــــــــع الســـــــــــابـــق – صـــ54،55.

والفن الذي يسعى بواسطة مُحاكاته إلى ما هو محسوس أو مُدرك من الجمال تنطبق عليه سِمة الجمال إذا كان يتفق دوره في التصوير والتقليد، بحيث يُصبح كأنه ذلك الظاهر الحسّي الذي يتبدّى له من المُطلق. وعلى هذا الأساس يكون الفنان فاعلاً في ربط الصلة بين المُطلق أو المثال، وبين المحسوس أو الأرضي حتى يكتسب بفضله الجزئي والمحدود بعض صفات الكُلي المُطلق)) [1].

وبالنظر إلى الجمال، فإن الجمال قد يكون متعلقاً بالإنسان أو بالحيوان أو بالنبات، أو بالجبال أو بالبحار أو بالأنهار أو بالرمال أو بالصخور أو بالصحارى أو بالفضاء. أو بالتعبير الإنساني؛ خاصة فيما يتعلق بالفنون المختلفة، أو قد يكون هذا الجمال مُتعلقاً بالجانب العقلي أو التأملي أو المعرفي.

وقد يوجد الجمال في لوحة فنية طبيعية ليست من صُنع البشر، أو صورة أو لوحة فنية قامت بعملها أيدٍ بشرية ماهرة، أو في وجه جميل حسن، أو قصيدة شِعرية جميلة متكاملة الوزن والإيقاع، أو في جسد جميل مُتناسق ومُتكامل، وقد يوجد هذا الجمال في مبنىً غاية في الإبداع والتناسق، أو في عمل فني مسرحي راقٍ، أو في مقطوعة موسيقية مُهذبة تخـــاطب الوجدان، وتُنبّه العقل إلى الإحساس بهذا الجمال؛ فالجمال يوجد في جميع مظاهر الحياة البشرية، وفي الطبيعة، وما نُشاهده ونرصده من خلال الفنون الجميلة في حياتنا اليومية [2].

أما في نظر أفلاطون، فإن بلوغ الجمال عنده له درجات حيث **((يتدرج من المحسوس الذي يُعد سبيلنا نحو الجمال الحقيقي، حتى يبلغ مراحل أعلى وأسمى تتفاوت وفقاً لإمكانات من يدركها من الفنانين المتميزين وطبيعتهم، أي أن الجمال يندرج من أدنى مرحلة متجهاً نحو مثال الجمال أو الجمال المُطلق، وهو المفهوم المثالي للجمال الذي يرد في معظم محاوراته ... ومن هُنا تتضح أهمية تأريخ أفلاطون لعلم الجمال، فهو من ناحية أول من بدأ صياغة النظرية**

---

(1) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – مرجع سابق – صـــ22.

(2) ينظر، المرجع السابق – صـــ23.

الجمالية صياغةً تستند إلى قُدرات الإنسان التأملية والفكرية، ومن ناحيةٍ أخرى فقد وضع اللبنة الأولى لأقوى الاتجاهات وأوسعها انتشاراً في فلسفة الجمال، لا سيما القديم منها)) [1].

- أرسطوطاليس : (384 – 322) ق.م

جاء أرسطو بعد أفلاطون، وقدّم لنا ما عنده من آراء حول الجمال، فهو يؤكد على الواقع والمادة، فقد بلغ أرسطو بالفكر الفلسفي اليوناني ذروة الصعود. وذلك يرجع إلى أن فلسفة أرسطو عقلانية واقعية، فقد رأى أن : **((التناسق والانسجام والوضوح من أهم خصائص الجميل. فالجمال إذن موجود على نحو موضوعي في الأشياء والموجودات، وهكذا فإن هناك جمالاً حقيقياً في هذا العالم وهو مصدر وعينا الجمالي وأعمالنا الفنية))** [2].

إذن فالجمال قد يكون موجوداً في الإنسان أو في الطبيعة، أو في بعض الكائنات الحية، وقد يكون حسناً جميلاً أو لا يكون؛ لأن ذلك متوقف على إحساسنا الخاص بهذا الاتجاه أو ذاك، وإننا بشكل إرادي أو لا إرادي نقوم ببعض الاختيارات الجمالية كل يوم. فالعديد من أنشطة الإنسان اليومية غالباً ما تكون ذات طبيعة جمالية، وذلك عندما يُقرر الإنسان نوع اللباس الذي سيظهر به عند الذهاب إلى المسجد أو العمل أو النزهة، أو مقابلة مسئول مهم في الدولة أو غيرها من الأعمال،لأن **((علم الجمال يبحث في السبب الذي من أجله يظهر الشيء جميلاً أو قبيحاً، يبحث في الجمال المطبوع كما يبحث في الجمال المصنوع، أعني أنه يبحث في الفنون وفي جمال الذات وجمال المعنى، فهو بذلك حلقة وصل بين الفلسفة والفن، وهو – فلسفياً – جزء من علم النفس))** [3].

---

(1) المرجع السابق – صـ24.

(2) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ55، 56.

(3) أ.س. رايوبيرت – مبادئ الفلسفة – ترجمة أحمد أمين – مرجع سابق – صـ49، 50.

ومن الملاحظ أيضاً أن التفسيرات الجمالية عند أرسطو قد أخذت اتجاهاً أكثر عقلانية، حيث أنه رفض عالم المُثل متجاوزاً بهذا الأمر معتقدات أستاذه أفلاطون؛ فأصبحت الفلسفة عنده مرادفة للعلم.

وقد عدّ أرسطو المحاكاة أساس الفن، حيث إنه اعتبر الفن تقليداً ومحاكاة يقودنا إلى المعرفة والمتعة الجمالية التي نُعبّر عنها بالألوان والأشكال والأنغام واللغة وغيرها [1].

وفي واقع الأمر فإن آراء أرسطو الجمالية، والفلسفية والفنية، كانت ((**تتويجاً حقيقياً للحقبة اليونانية لا سيما فيما يتعلق بالشعر والموسيقا، حيث كان لكتاب الشعر بعد ذلك أبلغ الأثر في المراحل اللاحقة من تاريخ فلسفة الجمال، وعلى وجه الخصوص عند الفلاسفة المسلمين، وأثّر هذا بطبيعة الحال – في صياغة النظرية الجمالية بأكملها التي تعتمد – في قسط كبير منها – الحقبة اليونانية وشروح ابن رُشد لآراء أرسطو في الشعر وغيره**)) [2].

(1) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – ص55 وما بعدها.

(2) عبدالكريم هلال – الانحراف في الفن – مرجع سابق – ص30.

الفصـــــــــــل الثـــــاني

الجمـال في المنظـور الإســلامي.

تمهيد / الفلسفـــــة الإســـلاميـــــة.

أ. الجمال في الفكر الفلسفي العربـــي الإسـلامي.

ب.المشاهد الجَمالية وأثرها على النفس البشرية.

الفصـــــــــــل الثـــــــاني

الجمـــال في المنظـــور الإســـلامي.

تمهيد / الفلسفـــة الإســـلاميـــــة.

لم يتفق الباحثون المسلمون حول مفهوم (الفلسفة الإسلامية)، فقد برزت الكتابات والبحوث والدراسات لمعرفة حقيقة هذه الفلسفة، ومن أقدم الباحثين في هـــذا المجـــال وأشهـــرهم : الشيخ / **مصطفى عبدالرازق** (1885 – 1947 م)، الذي قدّم دراسات مُفيدة وقيّمة، عن الفلسفة الإسلامية، وذلك من خلال مؤلفه المشهور : (**تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**)[1]، حيث ذكر فيه آراء الباحثين – غربيين وإسلاميين – في الفلسفة الإسلامية، وناقش تلك الآراء موضحاً رأيه الخاص.

ومما ورد في شأن تسمية الفلسفة الإسلامية، هل هي إسلامية أم عربية ؟ حيث إن هناك فريقاً يقول بأنها (**فلسفة إسلامية**) أي بمعنى أنها يجب أن تُضاف إلى الإسلام، لِما لها من أثر ظاهر فيها، ولأنها قد نشأت في بلاد إسلامية، وعاشت وتطورت في ظل الإسلام. وفريق أخر يقول : بأنها "فلسفة عربية" وذلك باعتبار أن رجالها كانوا يكتبون آثارهم باللغة العربية [2].

ويرى الشيخ (**عبدالرازق**)، أن تسمية الفلسفة الإسلامية بهذا الاسم، قد وضعه الفلاسفة أنفسهم، ولا يجوز العدول عن هذا الاسم، حيث قال : ((**وعندي أن هذه الفلسفة قد وضع لها أهلها اسماً اصطلحوا عليه فلا يصح العدول عنه، ولا تجوز المشاحة فيه**)) [3].

وقد أورد الأستاذ (عبدالرازق) مثالاً لذلك، حيث استدل بابن سينا الذي استخدم عبارة فلاسفة الإسلام في كتابيه (الشفاء) و(النجاة) في مواضع متعددة، وكذلك الشهرستاني، في كتابه (الملل والنحل)، وذلك في قوله : ((**المتأخرون من فلاسفة الإسلام مثل يعقوب بن إسحاق الكِندي، وحنين بن إسحاق ... فهؤلاء المشتغلون بالفلسفة في ظل الإسلام من مسلمين وغير مسلمين يُسمون فلاسفة الإسلام، وتُسمى فلسفتهم (فلسفة إسلامية) بالمعنى الاصطلاحي**...ووردت عبارة

---

(1) مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – ط3 – القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – مكتبة النهضة المصرية – 1386 هـ – 1966 م. والكتاب يعتبر من أقدم المؤلفات الفلسفية، حيث يقع الكتاب في 350 صفحة.

(2) المرجع السابق – صـ16 وما بعدها.

(3) المرجـــــع الســـــابق – صـ19.

(فلاسفة الإسلام) و (حكماء الإسلام) في كتاب (أخبار الحكماء) و (مقدمة ابن خلدون) ... من أجل ذلك كلّه نرى أن نُسمي الفلسفة التي نحن بصددها كما سماها أهلها (فلسفة إسلامية)، بمعنى أنها نشأت في بلاد الإسلام وفي ظل دولته، من غير نظر لدين أصحابها ولا لغتهم، ولا نرى في هذه التسمية موضع نقد يدعو للتفكير في تبديلها)) [1].

لم يُنكر الشيخ/عبدالرازق تأثر الفلسفة الإسلامية بالثقافات والفلسفات الأجنبية، فنراه قد وضع في كتابه موضوعاً خاصاً بعنوان : (مصادر الفلسفة الإسلامية)، قال فيه: ((لم يكن للعرب في جاهليتهم حظ من الفلسفة من حيث هي علم له موضوعه وأسلوبه في البحث وغايته. لكن هذا العلم كان موجوداً عند أممٍ من غير العرب، وانتقل منها إلى العرب في ريعان دولتهم الناهضة)) [2].

وقد أورد (ابن خلدون)، [*] في مقدمته فصلاً للحديث على أن حَمَلة العلم في الملةِ الإسلامية أكثرهم من العجم، حيث قال : ((من الغريب الواقع أن حَمَلة العِلم في الملّةِ الإسلامية أكْثَرُهم العَجَمْ، وليس في العرب حَمَلة علم، لا في العلوم الشرعيّة ولا في العلوم العقلية، إلاّ في القليل النادر. وإن كان منهم العربيُّ في نسبهِ، فهو أعجميٌّ في لغتهِ ومرباهُ ومشيختهِ، مع أن الملّةَ عربيّةٌ، وصاحب شريعتها عربيٌّ. والسبب في ذلك أنّ الملّة في أولها لم يكن فيها علمٌ ولا صناعة، لمقتضى أحوال السذاجةِ والبداوة)) [3].

كما ناقش فن الشعر عند العرب وما يحمل من أخبار وفنون وعلوم ونوادر وحكايات وحِكَمْ، على اعتبار أن الشعر ديوان العرب، فقال : ((اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب، فيه عُلومهم وأخبارهُمْ، وكان رؤساءُ العرب متنافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عُكاظ، [*] لإنشاده

---

(1) المرجع السابق – صـ19، 20.

(2) المرجع السابق – صـ37، 38.

(*) ابن خلدون، هو : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ولد بتونس، وهو فيلسوف اجتماعي، مُسلم، لـه مقدمة مشهورة تُعرف (بمقدمة ابن خلدون)، وهو يعتبر مؤسس علم الاجتماع، توفي عام 808 هـ.

(3) ابن خلدون – المقدمة – ط1 – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – 1413 هـ – 1993 م – صـ 466.

(*) موقع بمكة يُعقد به سوق في موسم الحج من كل سنة.

وعرضِ كلِّ واحدٍ منهم ديباجتَهُ على فُحول الشأنِ وأهل البَصَرِ، لتمييز حُوكه. حتى انتهوا إلى المُناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حَجِّهم، وبيت أبيهم إبراهيم ... ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام، بما شَغلهم من أمر الدينِ والنُبوّةِ والوحي، ومما أدهشهم من أسلوب القرآنِ ونظمه، فأُخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوضِ في النظم والنثر زماناً. ثم استقر ذلك وأونس الرُشدُ من الملّةِ. ولم يتنزّل الوحي في تحريم الشعر وحظْرِه، وسَمِعَهُ النبي ﷺ وأثاب عليه، فرجعوا حينئذٍ إلى دَيْدَنِهِمْ منه)) [1].

هذه لمحة موجزة عن تسمية الفلسفة الإسلامية بهذا الاسم، وآراء بعض الباحثين المسلمين في هذا الشأن؛ أردت أن تكون تمهيداً ومدخلاً لدراسة علم الجمال في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي، حيث كان لآراء الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين دور كبير ومُهم، في إثراء الدراسات الجمالية، فنجد أن ((فريقاً منهم قد اتجه إلى الجمال بجميع صوره الحسنة والتي تُدرك بواسطة الحواس لرؤية ما فيها من تناسق وانسجام، بينما ربط فريق آخر سائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي، بل واتجه البعض منهم إلى الحديث عن الجمال بالمعنى الصُوفي والذي هو جمالٌ روحاني أو معنوي ويدرك في جميع مظاهر الوجود بواسطة القلب أو الوجدان، في حين آثر فريق ثالث التحدث عن الجمال المعقول الذي لا يتم إدراكه إلاّ بواسطة نور العقل)) [2].

أما عن الرؤية الجمالية في الفلسفة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسُنة النبوية المُطهرة. فإنه قد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات الكريمة، التي تَحُثُ الناس على التأمل والتدبّر في هذا الكون الفسيح، وإدراك ما فيه من جمالٍ وما فيه من مشاهد يومية، يقف الإنسان أمامها حائراً وعاجزاً عن فهم وإدراك قوة وعظمة هذا الخالق العظيم، والمُصور البديع، وقدرته جل وعلا الإبداعية في خلق هذا الجمال في الكون وفي الإنسان، حيث يقول سبحانه وتعالى في

(1) ابن خلدون – المقدمة – ط1 – مرجع سابق – ص500.

(2) فائزة أنور شكري – فلسفة الجمال والفن – مرجع سابق – ص42.

كتابه العزيز : ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1].

ويقـــول الحـــق تبارك وتعـــالى : ﴿وَزَيَّنَّـا السَّمَـاءَ الدُّنْيَـا بِمَصَابِيحَ﴾[2]. ويقول تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾ [3].

إن هذه الآيات الواردة في كتاب الله، قد ألهمت الإنسان – خاصة المسلم – رؤية جديدة للكون – لا سيما أن الإسلام دين جمال – فهو من عند الله سبحانه وتعالى، خالق الجمال، ويَحُثُّ على قول الجميل وفعل الجميل والمعاملة الحسنة، ومقابلة السيئة بالحسنة، ويدعو إلى جمال الظاهر والباطن كما في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (33)﴾ [4].

---

(1) من الآيـــة 07 ـــــورة الرُّوم.

(2) من الآية 11 سورة فُصِّلت.

(3) الآيتان 06 ، 07 سورة ق.

(4) الآيـــة 33 ســورة فُصِّلت.

الفصـــــــــل الثـــــــاني

الجمـال في المنظـور الإســلامي.

(أ)

الجمال في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي.

لقد كان للدين الإسلامي كبير الأثر على المفكرين والفلاسفة المسلمين في تحديد وجهات نظرهم ورؤاهم الفلسفية المتباينة، كما كان له الأثر الكبير على الشعراء والفنانين أيضاً، مما انعكس على إبداعاتهم الفنية في مختلف المجالات، حيث كان تأملهم للطبيعة وتأثرهم بها قوياً، ومن ثم كانت بينهم وبين الطبيعة صلة قوية ومتينة، أساسها الصدق والمحبة الصادقة وتقوى الله. ومن بين هؤلاء الفلاسفة المسلمين الذين لهم رؤىً جمالية وفلسفية متميزة، نابعة من الدّين الإسلامي الحنيف، حيث كانت آراؤهم وشروحهم للفلسفة اليونانية – على الرغم من تباين هذه الشروح – إلاّ أنها كانت بأسلوب عقلي متبصر له طابع التحليل والنقد. من بين هؤلاء الفلاسفة المسلمين :

1. الفارابي :[1] لُقّبَ بالمعلم الثاني، وذلك لشدة حُبّه وتعلّقه الكبير بأرسطو، وشروحه الكثيرة على مؤلفاته، فقد عرض الفارابي لتحديد معنى الفلسفة، وذكر أقسامها والغاية منها، والفرق بينها وبين الدين، فيقول عن الفلسفة : ((**وأول هذه العلوم كلها، هو العلم الذي يُعطي الموجودات معقولة ببراهين يقينية، وهذه الأخر إنما تأخذ تلك بأعيانها فتقتنع فيها أو تتخيلها ليسهل بذلك تعليم جمهور الأمم وأهل المُدن**)) [2].

ويعد الفارابي أحد أوائل المفكرين المسلمين الذين مَهّدوا الطريق أمام نشر الفكر اليوناني في العالم الإسلامي، حيث يقول في هذا الشأن : ((**وكان الذين عندهم هذا العِلم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الإطلاق، والحكمة العُظمى؛ ويُسمون اقتناءها، العِلم، وملكته الفلسفة، ويعنون به إيثار الحكمة العظمى ومحبتها، ويُسمون المقتني لها فيلسوفاً، ويعنون المُحب المؤثر للحكمة العظمى، ويرون أنها هي بالقوة الفضائل كلها، ويُسمونها عِلم العلوم، وأم العلوم وحكمة الحِكم وصنـــاعة الصنـــاعات**))[3].

---

(1) الفارابي، هو : أبونصر محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي، وُلد في بلدة وسيج، قرب فاراب، على نهر سيحون من بلاد الترك، (عام 260 هـ / 871 م، وتوفي عام 339 هـ / 950 م) نقلاً عن : – مصطفى غالب – فلاسفة من الشرق والغرب – ط1 – بيروت – منشورات حمد – 1968 م – ص156.

(2) الفارابي – تحصيل السعادة – تعليق وشرح، علي مُلحم – ط1 – بيروت، لبنان – دار مكتبة الهلال – 1995 م – ص83.

(3) المرجع السابق – ص86 ، 87.

وهناك تقسيم للفلسفة قال به الفارابي في كتابه، **(التنبيه على سبيل السعادة)**، حيث يرى أن الصنائع صنفان اثنان، ولكل صنف مقصود مُعين، فالأول : ما مقصوده وغايته تحصيل الجميل؛ وفي الآخر : ما مقصوده وغايته، تحصيل النافع.

ويُشير الفارابي إلى أن الفلسفة، هي الصناعة التي مقصودها تحصيل النافع والجميل فقط. ويُطلق عليها الحكمة على الإطلاق. ويقول أن الفلسفة هي التي ننال بها السعادة، لأن السعادة – كما يراها الفارابي – لا يُمكن أن ننالها إلاّ إذا كانت لنا الأشياء الجميلة فنية؛ ومن ثم فقد قسّم الفارابي الفلسفة إلى قسمين : **الفلسفة النظرية، والفلسفة العملية (الفلسفة المدنية)**، وللفلسفة المدنية فرع يحصل به علم الأفعال الجميلة، والأخلاق التي تصدر عنها هذه الأفعال الجميلة [1].

كما يؤكد الفارابي على أن الغاية القصوى من تعلّم هذا العلم – الفلسفة – هي معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وأنه واحدٌ لا شريك له، وأنه الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو المرتب لهذا العالم بجُوده وفضله وكرمه سبحانه وتعالى. ويحاول أيضاً التوفيق بين الفلسفة والشريعة، ويُقرر أنهما تتفقان في الموضوع والغاية والهدف؛ ولا تختلفان إلاّ في طريقة التفهيم وعرض الآراء [2].

وقد أشار الفارابي إلى الأشياء التي يُمكن أن تستنبط بالقوة الفكرية [3]، حيث قرّر أن الأشياء التي يكون سبيلها أن تستنبط بالقوة الفكرية أنها تكون نافعة في أن تحصل غاية أو غرضاً ما؛ فالقوة الفكرية عنده تكون كاملة عندما تستنبط أنفع الأشياء في تحصيلها، وربما كانت هذه الأشياء خيراً، وربما كانت شراً [4].

يوحد الفارابي بين الجمال والنفع، حيث يؤكد أن الأنفع هو الأجمل، فيقول في هذا الصدد : **((والفضيلة الفكرية منها ما يُقتدر به على جودة الاستنباط لما هو أنفع غاية فاضلة مشتركة لأمم أو لأمة أو لمدينة عند وارد مشترك، فلا فرق بين أن يُقال أنفع في غاية فاضلة، وبين أن يُقال**

---

(1) مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – مرجع سابق – صـ52، 53.

(2) ينظر، الفارابي – تحصيل السعادة – تعليق وشرح، على بوملحم – مرجع سابق – صـ88، 89.

(3) القوة الفكرية عند الفارابي، هي : العقل العملي. المرجع السابق – صـ56.

(4) المرجع السابق – صـ56 ، 57.

أنفع وأجمل <عامة>، فإن الأنفع الأجمل هو بالضرورة لغاية فاضلة والأنفع في غاية ما فاضلة هو الأجمل في تلك الغاية)) [1].

هذه بعض من آراء الفيلسوف المسلم (الفارابي)، كما أوردها في كتابه (تحصيل السعادة)، حيث أشار للفضائل النظرية، إذا حصلت في الأمة وانتشرت في أهل المُدن والأمصار، تحققت بها السعادة الكُبرى والقصوى في الحياة الأخرى [2].

أما بخصوص الفنون والموسيقى، فإنه كان بارعاً فيها مُضطلعاً بعلومها وفنونها، والمعروف عليه أنه، **((عشق الموسيقى فبرع فيها، وداعبت أنامله الأوتار، فأضحك وأبكى، اخترع القانون وعزف عليه فاستولى على سامعيه، وسلب ألبابهم))** [3].

2. ابن سينا : [4] يأتي بعد الفارابي الفيلسوف المسلم "ابن سينا"، الملّقب بالشيخ الرئيس، والذي له العديد من الكتب والمؤلفات، في مختلف المجالات، الطبيّة، والفلسفية، والعلمية، والفنية؛ ولكن سوف نتناول بعض آرائه وفلسفته الخاصة في مجال فنون الموسيقا والشعر.

يقول ابن سينا في شأن الموسيقا : **((فالموسيقا علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم، من حيث تآلف وتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بينها، ليعلم كيف يؤلف اللحن))** [5].

ويؤكد ابن سينا على أن الموسيقا تُفيد اللذة النفسية، وذلك بقوله : **((وأمر الموسيقى مبنيٌ على الأفضل، لأنه لإفادة اللذة النفسية، وكل ما سبيله هذا السبيل فيجب أن يوفق القصد فيه على الأفضل لا غير))** [6].

---

(1) المرجع السابق – ص57.

(2) ينظر، المرجع السابق – ص58، 59.

(3) مصطفى غالب – فلاسفة الشرق والغرب – ط1 –بيروت – منشورات حمد – 1968 م – ص158.

(4) ابن سينا، هو : أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسين سينا – الملّقب بالشيخ الرئيس – والمشهور، بابن سينا – (توفي عام 428 هـ)، نقلاً عن : – مصطفى غالب – فلاسفة من الشرق والغرب – مرجع سابق – ص160.

(5) ابن سينا (الشفاء، جوامع علم الموسيقا – تحقيق زكريا يوسف – ط، بدون– القاهرة – المطبعة الأميرية– 1956 م – ص9 – نقلاً عن : عائدة الزياتي – أثر الخيال في الفن – رسالة ماجستير – مرجع سابق – ص15.

(6) المرجع السابق – ص20، نقلاً عن : عائدة الزياتي – أثر الخيال في الفن – مرجع سابق – ص15. ص15.

وأما بخصوص الشعر، فإن ابن سينا يرى أن الشعر حديثٌ، له صلة بالخيال؛ وهو مكون من كلمات مُتجانسة النغم والمقاييس، ومتشابهة في الحروف الأخيرة، فهو يقول في شأن الشعر : **((الشعر كلام مُخيل مؤلف من أقوالٍ ذوات إيقاعات متساوية على وزنها، متشابهة حروف الخواتم))** [1].

ومما تقدم يتضح لنا أن ابن سينا يضع أهم مقومات الشعر، وهي : المعرفة بالإيقاع، والمعرفة بالوزن، والمعرفة بالتساوي، لأن الشعر **((نابعاً من الخيال، وقائماً عليه، فإنه يتصف بأهم المقومات الفنية الأخرى. وقد حصرها ابن سينا في الوزن والإيقاع والتساوي، متأثراً في ذلك بكتاب أرسطو في الشعر، غير أنه حاول أن يجعل من تفسيره أكثر شُمولاً واستيعاباً لعوامل الإبداع))** [2].

3. الغزالي : [3] يُعد الغزالي أحد أبرز الفلاسفة المسلمين، فقد لُقّب بـــ حُجة الإسلام، وذلك لِما له من مؤلفات عديدة في شتى أنواع العلوم والمعارف ذات الأهمية في الذوق الجمالي. فهو يعرض مفهومه عن "السماع" أو اللذة الناتجة عن رؤية العاشق للمعشوق، في نظرة لصوفي، والذي يعتقد أن الجمال يتحقق من خلاله، فيقول : **((أعلم أن السماع هو أول الأمر، ويُثمر حالة في القلب تُسمى الوجد، ويُثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة، فتُسمى الاضطراب وإما موزونة فتُسمى التصفيق والرقص))** [4].

وجاء في حديثه عن الشعر والغناء، قوله : **((ثم الطّيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر**

---

(1) المرجع السابق – ص22، نقلاً عن : عائدة الزياني – أثر الجمال في الفن – مرجع سابق – ص15، 16.

(2) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – مرجع السابق – ص31، 32.

(3) الغزالي، هو : محمد بن محمد أحمد الغزالي، المعروف بأبي حامد– المُلقّب بحجة الإسلام – ولد في مدينة طوس عام 450هـ، وقيل ولد في قرية غزاله من أعمال طوس، توفي عام 505 هـ. نقلاً عن مصطفى غالب – فلاسفة من الشرق والغرب – مرجع سابق – ص160.

(4) الغزالي – إحياء علوم الدين – ط، بدون – جـ2 – بيروت، لبنان – دار المعرفة – ب ت – ص268. ص268.

الحيوانات)) [1]، ويؤكد الغزالي على أن سماع الصوت الطيب الحسن من حيث أنه طيب وحلال، وذلك من خلال حديثه عن لذة الاستماع، فيقول : **((أما سماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنـــص والقيـاس أما القياس [وهو برهان منطقي]، يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يُستلذ، فلذة النظر في المُبصرات الجميلة كالخضرة والمـــاء الجـــاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة. وهي مُقَابَلَةُ ما يُكره من الألـــوان الكَدِرَةِ القَبيحة))** [2]، فالجمال عند الغزالي يرتبط بالموافقة والقبول، وكذلك متعة النظر في رؤية الأشياء الجميلة، ولذة السمع في الأصوات والأنغام المتفقة والموزونة فقط، وأما القُبح فيرتبط عنده بالنفور والرفض والابتعاد.

ويركز الغزالي على الوزن، حيث يربط بينه وبين الفهم، ويحدد أوقات الفرح والسرور والغناء أو الأشياء بلفظ جميل ورشيق وصوت شجي ورخيم، فهذه الأشياء كلها مجتمعه تكون عاملاً مؤثراً في القلب وسبباً في حالة الوجد التي يتصف بها العمل الفني الجميل [3]، فالغناء المباح والكلام الموزون ليس عيباً وحراماً، بل هو جائز شرعاً وهذا ما أكّده الغزال في قوله : **((السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهييجاً له. وهو مُباح إن كان ذلك السرور مُباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز ... ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قـــدوم رسول الله ﷺ [إلى المدينة المنورة] :**

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داع)) [4].

---

(1) المرجـع الســـابق – صـــ270.

[ ] زيـــادة فـــي التوضيـــــح.

(2) المرجع السابق – صـــ270، 271.

(3) الغزالي – إحياء علوم الدين – جـــ2 – مرجع سابق – صـــ275، 276.

[ ] زيـــادة فـــي التوضيـــــح.

(4) المـــــرجع السابق – صـــ277.

فإظهار هذا الفرح والسرور بالشعر والغناء أو بالإيقاع الموزون أو بالرقص أو بالحركات، أمرٌ محمود مادام السرور والفرح في شيءٍ مباح.

ومن الأشياء المهمة التي يعرضها الغزالي في كتابه، (إحياء علوم الدين)، (اللذة الجمالية)، فهو يُقرر أن لذة النظر إلى وجه المعشوق تتمايز وتتفاوت بأمور عديدة، منها : **((كمال جمال المعشوق ونُقصانه))** [1]، حيث يجعله الغزالي مُحدداً بمستويات تلك اللذة أو المُتعة التي يوفرها هذا النوع من الجمال الصوفي الذي يتحدث عنه.

كما يُقرر أيضاً أن **((اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة))** [2]، فهو بذلك يجعل من هذا الأمر، مبدأً أساسياً في تذوق الجمال.

وأما الأمر الثاني عنده لهذه اللذة هو : **((كمالُ قوةِ الحب والشهوة والعشق؛ فليس التذاذ من اشتد عِشْقُهُ كالتذاذ من ضَعُفَتْ شَهْوَتُه وحُبُّه))** [3].

ويكمُن الأمر الثالث في : **((كمال الإدراك، فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظُلمةٍ أو من وراء ستر رقيق أو من بعده كالتذاذه بإدراكه على قُرب من غير ستر وعند كمال الضوء))** [4].

وأما آخر هذه الأمور، فإنه يُمكن القول بأنه يعود للمُلتقي نفسه، حيث يتوقف على حالته هو دون غيره، فهي تختلف من شخصٍ لآخر، ويتمثل ذلك الأمر في : **((اندفاع العوائق المُشوشة والآلام الشاغلة للقلب؛ فليس التذاذ الصحيح الفارغ المُجرّد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه))** [5].

ويؤكد الغزالي على أن معرفة العبد ومحبته لله تعالى حقيقية وليست مجازاً، وأن المحبة والعشق هي ميل النفس إلى الشيء الموافق دون سواه، ففي قوله : **((سماع من أحب الله وعشقه**

---

(1) الغزالي – إحياء علوم الدين – جـ4 – مرجع سابق – صـ314.

(2) المرجع السابق – الصفحة نفسها.

(3)،(4)،(5) المرجع السابق – صـ314.

واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه. ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسماع في حقه مُهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحُبه)) [1].

أما حديثه عن الإحسان والجمال وطريقة إدراكهما، فإنه يقول مؤكداً : **((أن الإحسان موافق للنفس، والجمال موافق أيضاً، وأن الجمال والإحسان تارةً يُدرك بالبصر. وتارةً يُدرك بالبصيرة، والحُبُّ يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر. فأما حُب الله للعبد فلا يُمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً))** [2].

ويُضيف الغزالي قائلاً : **((وكل لذيذ محبوب، وكل حُسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، ولا أحد يُنكر كون الجمال محبوباً بالطبع، فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوباً عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله ﷺ "إن الله جميل يحب الجمال"[3]))** [4].

ويوضح الغزالي معنى الحُسن والجمال واللذة، في قوله : **((فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن. فأي معنى لحُسن الصوت وسائر الأشياء إن لم يكن الحُسن إلاّ في الصورة ؟ ومعلوم أن العين تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة. وما من شيء من المدركات إلاّ وهو منقسم إلى حسن وقبيح))** [5].

إذن الحُسن والجمال موجود في الأشياء المحسوسة، وإنْ لم تُدرك كُلها بحُسن البصر، فالصوت يدرك بالسمع، والطعام بالتذوق؛ والحُسن والجمال موجود أيضاً في الأشياء غير المحسوسة وأنّ من يتصف بالأخلاق الجميلة يكون له محبة خاصة، وذلك لأن حُسن الشيء في كماله وجماله الذي يليق به، كما أسلف الغزالي بهذا الخصوص، حيث قال : **((إنما الأخلاق الجميلة يُراد بها، العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير، وشتى من هذه الصفات لا يُدرك بالحواس الخمس. بل يُدرك بنور البصيرة الباطنة، وكل هذه**

---

(1) المرجع السابق – جـ2 – صـ279.

(2) المرجع السابق – جـ4 – صـ327.

(3) الحديث رواه أحمد في مسنده : صحيح مسلم، مجـ1. طـ3 (بيروت، دار الحياة د.ت) صـ93.

(4) الغزالي – إحياء علوم الدين – جـ4 – مرجع سابق – صـ298.

(5) المرجع السابق – صـ299.

الخلال الجميلة محبوبة، والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته)) [1]. ويقول الغزالي مؤكداً أن الله سبحانه وتعالى هو : **((خالق الحُسن وخالق المُحسن وخالق الإحسان، وخالق أسباب الإحسان))** [2].

كما يربط الغزالي بين الجمال والحُب، ويجعل الحُب المتعلق بالجمال، بعيداً ومُنَزّهاً عن الغرض أو الغاية، أو المنفعة، حيث يقول : **((إن حُب كل جميل لذات الجمال لا لحظ يُنال من وراء إدراك الجمال))** [3]؛ بمعنى أن يحب الشيء لذاته لا لغاية يناله من وراء ذلك الحب، وبمعنى آخر، أن يحب الجمال للجمال ذاته، وليس لأجل منفعة أو غاية أو مصلحة يرجوها من وراء حُبه؛ وفي نظر الغزالي أن كل جمال محبوب ومقبول عند مدرك الجمال نفسه. وبالإضافة إلى ذلك فإن الغزالي يُقسم الجمال إلى قسمين اثنين، فهو يقول : **((الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة))** [4]. كما أن الغزالي يقول بنقص المخلوق، وكمال الله سبحانه وتعالى، وأنه مُنزّه عن العيوب والنقائص، حيث يقول الغزالي : **((الجميل محبوب، والجميل المُطلق هو الواحد الذي لا ند له، الفرد الذي لا ضد له... خالق الجماد والحيوان والنبات، المنفرد بالعزة والجبروت، والمتوحد بالملك والملكوت، ذو الفضل والإجلال والبهاء والجمال والقُدرة والكمال))** [5].

ويُضيف قائلاً : **((البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر، وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال، بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال. نعم الذي فقد البصر يُنكر الصورة، والذي فقد السمع يُنكر لذة الألحان والنغمات الموزونة، فالذي فقد القلب لا بد وأن يُنكر أيضاً هذه اللذات التي لا مَضنّة لها سوى القلب))** [6].

---

(1) المرجع السابق – الصفحة نفسها.
(2) المرجع السابق – ص303.
(3) المرجع السابق – ص303.
(4) المرجع السابق – الصفحة نفسها.
(5) المرجع السابق – ص305.
(6) المرجع السابق – ص351.

إن من أدرك بقلبه وعقله وعرف حقيقةً جمال الخالق المبدع المُصور، وجمال دينه، وجمال جنّته، وجمال كتابه الكريم، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، نال السعادة في الدنيا وفي الآخرة، وبذلك يحصل له الشرف العظيم والخير العميم من ربّ العالمين.

يقول الغزالي : ((**وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى، لأن شرف كل موجود به ومنه، وكل عجائب العالم آثار صنعته، فلا معرفة أعز من معرفته. ولا لذة أعظم من لذة معرفته، وليس منظر أحسن من منظر حضرته، وكل لذّات وشهوات الدنيا مُتعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت، ولذّة معرفة الربوبية مُتعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت، لأن القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذّته أكثر، وضوؤه أكبر لأنه خرج من الظُلمة إلى الضوء**)) [1]. فالله سبحانه وتعالى هو الجميل بحق، وهو وحده الذي يجب أن يكون الحب كله له دون سواه، وهو سبحانه الأحق بالمحبة والطاعة والعبادة.

وفي آخر هذه الحوصلة السريعة، يمكن أن نؤكد على أن العلم الذي يوصل إلى السعادة حقاً هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومحبته والتوكل عليه، والرضاء بما قضى، وأن يتبع الإنسان عمله عملاً صالحاً يُحبه المولى عز وجل، ويحفظ به الإنسان مكانه عند ربّ العبـــاد الرحمـــٰن الرحيم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم. يقول تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)**﴾ [2].

لقد استطاع الفلاسفة المسلمون بتناولهم للموضوعـــات الفلسفية الخـــاصة والعـــامة، وخاصة – الفلسفة اليونانية وشروحهم لها – على الرغم من تباين تلك الشروح، فقد كانت بأسلوب عقلي جميل له طابع في التحليل والنقد، وله أفكار واضحة ومتكاملة؛ أن يضيفوا لها إضافات هامة لها طابعها الإسلامي الخاص بأسلوب رصين ومتميز، حتى وإن ظلت جهودهم في إطار تلك

---

(1) الغزالي – مجموعة رسائل الإمام الغزالي – ط1 – بيروت، لبنان – دار الفكر – 1424 هـ – 2003 ف – ص426.
(2) الآية 97 سورة النحل.

الفلسفة اليونانية التي لولا شروح الفلاسفة المسلمين لها لما استنار بها الفكر الفلسفي العربي الإسلامي ومن بعده الفكر الأوروبي الذي اعتمد على شروح ودراسات الفلاسفة المسلمين.

وبهذا تكون قد تشكّلت وتكونت ((**ملامح النقد الفني والجمالي من خلال حقبتين كانتا من أخصب حقب التاريخ وأغناها هما : الفلسفة الإغريقية، والفكر العربي الإسلامي، وهذا يتضمن بدوره الإشارة إلى بداية حقيقية للإبداع، إذ إن عملية الخلق الفني كانت مصاحبة لمرحلة التفكير المنظّم الذي أدّى بالإنسان إلى التعبير عن نفسه بوسائل وأساليب فنية**)) [1].

إذن هناك حقيقة ثابتة وهي، أن الناس – أينما كانوا وحيثما وُجِدوا ميالون للجمال مُحبون له على الدوام في شتى صوره ومظاهره، مما جعل الفلاسفة والمفكرين على مر العصور يهتمون بالجمال وتفسيره، وفك طلاسمه في مختلف صوره المادية والمعنوية.

في ختام هذا المبحث، يُمكن تسليط الضوء على بعض الجوانب التي توضّح معاني الجمال المتنوعة.

فمن المعروف أن للجمال جوانب متعددة ومختلفة، ولكن هناك جانبين مُهمين لا يصلح الجمال بغيرهما، ولا تكون هناك لذة ومتعة جمالية بدونهما، وهما حسب الأهمية (**الحياة والحُريّة**).

– **الجانب الأول / الحياة** : فهي التي لا يتم بغيرها جمال، أو حتى صفة من صفاتها، فكلما كانت الحياة تسير بدون عوائق كان الجمال. فالشجرة المُورقة أجمل وأحسن منظراً من الشجرة اليابسة. والمُزهرة أجمل من المُورقة، والمُثمرة أجمل من المزهرة، والإنسان الصحيح أجمل من المريض، والصغير أجمل من الكبير. والذي يُعجبنا ويشد انتباهنا في اللوحة الفنية أو التمثال وكأنه حي، يعني أنه استمد جماله من مشابهة الحياة في التمثال من خلال الملامح الظاهرة، والجمال معنىً وليس شكلاً، فما الشكل إلاّ وسيلة وإنما المعنى هو المقصود وهو الغاية المنشودة. فنرى الساق في الغزال مستدقة رفيعة ولا نرى فيها عيباً، لأنها هنا تدل على الرشاقة والخفة والجمال

(1) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – مرجع سابق – صـ38.

والنشاط والحيوية، فلا نقبل هذه الساق الرفيعة في إنسان، لأنها تذكرنا بالضعف والمرض والمجاعة. وكل ذلك يُعيق حركة الحياة.

وكذلك إذا نظرنا إلى فتاة ناضجة، صدرها ضامر هزيل لا نُحبذه، لأنه دليل على المرض وأن هناك خللاً في نمو هذه الأعضاء غير المتناسقة، وأيضاً لو نرى فتىً بالغاً وله صدر بارز مكتنز. فإننا نشمئز منه، لأنه علامة المرض والخلل في النمو. في حين أننا نقبل هذا الصدر البارز عند الفتى إذا كان قد نما على الصحة والعافية، مما يدل على تشبّع هذه الأعضاء بالحياة.

- **الجانب الثاني / الحُريّة** : فالحرية لا يتم جمال بغيرها في عالم الحياة والفن على مر السنين؛ ونعني هنا بالحرية، ذلك الوضع الذي يكون فيه الاختيار. فلو قُلنا إن كل فضيلة تكون بين رذيلتين. لبدأنا بالقيد، وهو الذي لا يكون لنا فيه حرية ولا اختيار وتفضيل.

ثم ننتقل إلى الحرية وهي عين الاختيار والتفضيل، وننتقل بعدها إلى الانفلات وهو الوضع الذي يكون فيه القيد ولا يكون فيه الاختيار.

ولو أردنا أن نقيس حرية متسابق على التغلب على العوائق التي تصده، أو يختار بينها إن لم يغلبها أقمنا له الحواجز وحدّدنا له المسافة والوقت وقيدناه بحرية المتسابقين الآخرين؛ لرأينا مدى قدرته على انتزاع حريته والتغلب على هذه الحواجز التي تُعيقه وتحد من حريته وانطلاقته.

وإذا نظرنا إلى الجسم الجميل تساءلنا ما هو ؟. فإننا لم نَرَ فيه شيئاً أكثر وضوحاً من الحرية المُطلقة لوظائف الأعضاء لأداء وظيفتها، سواء نظرنا إليه في جُملته أو لكل عضو على حده؛ فإننا لا نرى صفة للجمال إلاّ وفي داخلها صفة حرية، فالجسم المُعاق يعني وبكل سهولة ويُسر، قد انتزعت من بعض أعضائه حُريتها أو إذا زاد حَدّ حريته فَقَدَ الاختيار الذي هو لُبّ الحرية وجوهرها الحقيقي، حتى الحركات التي تقوم بها الأعضاء، ينطبق عليها ما ذُكر آنفاً. فكل حركة نابعة من مشيئته هي جميلة، وكل حركة نابعة عن عجز ودون اختيار، مذمومة، ولو أننا طبقنا هذا على السلوك والأخلاق، لما اختل المقياس، فإنك لن تجد خَصلة من الخصالِ المحمودة

الجميلة، إلاّ كان فيها غلبة الحرية على الضرورة والبواعث الخارجية، فالكريم مثلاً، لم يتصف بهذه الصفة "الكرم"، إلاّ بعد أن تحرر من البُخل، وكذلك "الشجاع"، لم يتصف بهذه الصفة إلا بعد أن تخلّص من "الجبن والخوف"، وقس على ذلك ما شئت.

من خلال ما تقدم يُمكن القول : بأن الجمال ليس له صفة واحدة مُحددة، بل يَصْعُب تحديده ووصفه إن لم يَكن مستحيلاً. ولكن الجمال له صفات متنوعة وكثيرة، نراها في الأشكال وفي الأصوات والمعاني، ومن ثم نستطيع القول (بأن الجمال هو ذلك الشيء المُثير للفكر والشعور الخالي من الاضطراب المُعبّر عن الحياة والحرية في أي وقت من الأوقات).

الفصـــــــــل الثـــــاني

الجمـال في المنظـور الإســلامي.

(ب)

المشاهد الجمالية وأثرها على النفس البشرية.

القرآن الكريم ملئ بالآيات التي كان لها الأثر الكبير في النفس الإنسانية من خلال المشاهد الفنية والجمالية القرآنية.

وفي هذا المبحث سوف تتم دراسة بعض هذه المشاهد والصور الجمالية في القرآن الكريم، وذلك لكثرتها وتنوعها، بحيث لا يُمكن تحديد وحصر هذه المشاهد والمواقف، لأن دراسة وتحليل مشهد مُعين يقودك إلى صورة من مشهد آخر، وهكذا دواليك؛ فالقرآن الكريم كتاب مفتوح لجميع العلوم والمعارف في كل وقت. فالعلْمُ وحده لله ربِّ العالمين.

وللجمال أثر كبير في النفس الإنسانية، ومن يقرأ القرآن الكريم بتدبر وروية، فإنه يجد فيه العديد من المشاهد الجمالية المبثوثة هنا وهناك في آيات الذكر الحكيم، والتي سيتم عرض ودراسة بعضها من خلال المشاهد القرآنية الآتية :

1. المشهد الأول :

من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وخروجه على نسوة المدينة في بيت العزيز، وذلك بعد مراودة امرأة العزيز له عليه السلام، شاع الخبر في المدينة وسَمِعَتْ به نسوة أكابر القوم وتعجبت النسوة من أمر امرأة العزيز، كيف تحب عبدها الذي شغفها حُباً.

بدأت امرأة العزيز تكيد لهن حيث جهزت لهن الفُرش الناعمة وأرسلت لهن تدعونهن إلى وليمة في مكان جميل من بيتها وقد أعتدت لهن متكئاً، وقدمت لهن الفاكهة وأعطت كل واحدة منهن سكيناً، وفي هذه اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن، فلما خرج رأينه فبهرهن جماله الساطع كالبدر ليلة تمامه، حيث كانت مفاجأة لهُنَّ غير متوقعة، وقد سَجّل القرآن الكريم هذه الدهشة والمفاجأة الكبيرة علـــــى نفوس النسوة اللاتي ألهاهن جمال يوسف – حين خروجه – على قطع الفاكهة التي بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن بدلاً من الفاكهة.

ونشاهد هذه الجلسة وهذا المشهد، من خلال التعبير القرآني الذي صور لنا هذا الحدث في آيات مُحكمة وموجزة ودقيقة وواضحة جلية [1].

يقول العزيز الجبار : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)﴾ [2].

الجمال بهر النسوة – أي نسوة – نسوة من علية القوم؛ فأي جمال هذا الذي هزّ كيانهن جميعاً، إنه جمال رباني متمثلاً في شخص ذلك الفتى الوسيم – يوسف عليه السلام – وهذا الجمال الذي شغلهن ((بمطالعة محاسن خلقه والتأمل في جماله واللذة في ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن فأعلنّ إكبارهن لذلك الجمال)) [3]، فالنسوة عندما رأين هذا الجمال قُلْن : ((حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم))، هنا في هذا الموقف قد أثّر الجمال في نفوس النسوة، وفي المقابل، زاد في تأجج نار الحب والهوى عند امرأة العزيز التي راودت يوسف عن نفسه فأبى. وحين رأت أمر النسوة وما صار منهن في خدش أيديهن بالسكاكين بدل الفاكهة، باحت لهن بما في قلبها من حُبّ هذا الفتى الجميل الذي شغل قلبها وشغف فؤادها وجداً وحباً [4].

وقد جاء في القرآن الكريم تصوير لهذا المشهد الذي انتصرت فيه امرأة العزيز على النسوة حتى لا تكون سخرية في أفواههن وحديثهن عليها وعلى فتاها، فقالت كما جاء في الآية الكريمة : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ

---

(1) ينظر، عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء – ط7 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1406هـ-1986م – صـ126 : 128.

(2) الآيتان 30، 31 سورة يوسف.

(3) عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء – مرجع سابق – صـ126.

(4) عبدالكريم الخطيب – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه – ط2 – دار المعرفة – بيروت، لبنان – 1395هـ – 1975م- صـ438 : 440.

وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ (32)﴾ [1]، هكذا قالت امرأة العزيز للنسوة اللائي قطّعن أيديهن عندما بهرهن جمال يوسف. حيث قالت هذا الذي لمتنني فيه فإن لم يفعل ما أريده منه سيدخل السجن ويكون من الأذلاء الصاغرين. وأصرّت على عنادها وطلبها.

وتَمُر أحداث القصة، ويدخل يوسف السجن ويمكث فيه بضع سنين، حتى يرى الملك في منامه تلك الرؤيا المزعجة والتي لم يستطع تأويلها إلا يوسف وهو في السجن.

وعندما يطمئن الملك لتفسير رؤياه يأمر بإحضار يوسف من السجن لكي يكون من خاصته؛ ولكن يوسف يرفض الخروج من السجن قبل البث في قضيته وسبب دخوله السجن، والتحقيق في أمر النسوة اللائي قطّعن أيديهن وخدشنها بالسكاكين. فأحضرهن الملك وسألهن عن أمرهن في مراودة يوسف عن نفسه؛ وقد صور لنا القرآن الكريم هذا المشهد وما دار فيه من تحقيق في هذه الآية الكريمة، حيث يقول تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [2]، هذه شهادة النسوة في يوسف، ولكنها ليست شهادة تامة، حيث قُلن ما علمنا عليه من سوء، ولم يشهدن ضد امرأة العزيز وتصريحاتها بالحب أمامهن وأمر يوسف بفعل الفاحشة أو يدخل السجن. وهنا يتحرك الحب والجمال في قلب امرأة العزيز وينقلب الموقف أمام الجميع لصالح ذلك الفتى المسجون ظلماً. ويصور لنا القرآن الكريم هذا الاعتراف أثناء التحقيق والمحاكمة في هذه الآيات الكريمة. حيث يقول تعالى : ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾ [3]، هكذا اعترفت امرأة العزيز أمام الحاكم وأمام النسوة وأعلنت صدق يوسف وبراءته. وأنها هي التي راودته عن

---

(1) الآيـــة 32 ســـورة يوسف.

(2) الآيتـــان 50، 51 ســـورة يوسف.

(3) الآيتـــان 51، 52 ســـورة يوسف.

نفسه، وذلك بعد أن استقر الحق وثبت؛ وكذلك دافعت عن نفسها بأنها لم تخن زوجها ولم تخن يوسف. ((**والخيانة : هي تهمته بمحاولة السوء معها كذباً، لأن الكذب ضد أمانة القول بالحق.**

والتعريف في (الغيب) تعريف الجنس. تمدحت بعدم الخيانة على أبلغ الوجه إذ نَفَتِ الخيانة في المغيب وهو حَائِلٌ بينه وبين دفاعه عن نفسه، وحالة المغيب أمكن لمريد الخيانة أن يخون فيها من حالة الحضرة، لأن الحاضر قد يتفطن لقصد الخائن فيدفع خيانته بالحُجة)) [1].

وإعلان امرأة العزيز في ختام هذه المحكمة حين ظهر الحق وانكشف، متمثلاً في قوله تعالى على لسانها : ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (53)**﴾ [2]، والحسن والجمال كان له كبير الأثر في هذه النفس التي شُغِفَت حُباً بهذا الجمال الجذاب.

ومن المعلوم أن للقرآن الكريم منهجاً خاصاً في التعقيب على الأحداث وتصوير الوقائع، ((**فهو فوق ما تضمنت كلماته، وما تحمل آياته من حقائق وصور يلتقطها من داخل الأشياء وأعماقها؛ فهو فوق هذا يجيء في أعقاب الحدث أو الواقعة أو الحكم بصورة مستقلة، تكون أشبه بالتعليق عليها أو التلخيص لها**)) [3].

---

(1) محمد الطاهر ابن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ط. بدون – جـ.12 – الدار التونسية للنشر – تونس – 1984م – صـ292، 293.

(2) الآيـــة 53 ســـورة يوسف.

(3) عبدالكريم الخطيب – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه – مرجع سابق – صـ161.

2. المشهد الثاني :

إسلام (بلقيس) ملكة سبأ بعد حضورها إلى سليمان عليه السلام.

إن المشاهد الجمالية في قصة سيدنا سليمان كثيرة ومتعددة، والمتتبع للقصص القرآني فإنه ((يرى تدبيراً عجيباً مُعجزاً، في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً مُحكماً متوازياً، وبين الحدث والشخصية .. فلا تجد موقفاً من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها، أو الحادثة وحدها .. وإنما تلتقي الشخصية والحادثة، أو الحادثة مع الشخصية فيتخلق من اجتماعها مضمون، هو الذي يُصبح بطل الموقف، فتكون شخصيته أبرز شخوص القصة))[1].

وقد تم اختيار قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ لما فيها من أحداث ومفاجآت، وما فيها من مشاهد ونقلات فنية على مسرح الأحداث هنا وهناك.

فأحداث هذه القصة تدور وقائعها بين فلسطين موطن سيدنا سليمان عليه السلام، وبين مدينة سبأ في اليمن حيث ملكة سبأ وقومها. وسوف يتم استعراض ودراسة هذه المواقف والمشاهد في لوحات ومناظر، وذلك حسب ورودها في القرآن الكريم في سورة النمل؛ وهي كالآتي :

- اللوحة الأولى :

تفقد سيدنا سليمان الجُند، فاكتشف غياب الهُدهد

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21)﴾ [2].

ولم يمض وقت حتى جاء الهُدهد إلى سيدنا سليمان ومكث غير بعيد منه وقال له قول الجندي المخلص الواثق من كلامه وإيمانه بالله سبحانه وتعالى : لقد عرفت أشياء لم تعرفها وجئتك من سبأ بنبأ يقين.

---

(1) عبدالكريم الخطيب – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه – مرجع سابق – صـ41.

(2) الآيتان 20، 21 سورة النمل.

فقال له سليمان عليه السلام ما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) ﴾ [1].

- اللوحة الثانية :

ذهاب الهُدهد إلى اليمن وإلقاء الكتاب إلى بلقيس ملكة سبأ.

ينتقل بنا المنظر إلى مدينة سبأ باليمن حيث مجلس الملكة مع كبار الدولة وذلك بعد أن ألقى الهُدهد الكتاب للملكة في قصرها فجمعت قوادها ووزراءها ورجال الدولة فوراً، وفي الآيات الآتية توضيح لهذا الموقف، حيث يقول تعالى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ (32)﴾ [2].

اجتمعت الملكة مع كبار قادة دولتها، وأهم ما يُميز هذا الموقف هو الإيجاز في كتاب سيدنا سليمان عليه السلام، حيث كان معنوناً باسم المرسل، وأنه بسم الله الرحمـــــن الرحيم. وفيه أمرٌ بالحضور إليه مسلمين أي بمعنى مؤمنين أو منقادين. ولكن ذكاء الملكة جعلها ترسل له بهدية وتنظر بماذا يرجع الرُسل.

وتنقلنا الآيات إلى المشهد أو اللوحة الثالثة إلى فلسطين حيث مجلس سيدنا سليمان في انتظار رد هذه الملكة التي أُرسل إليها رسالة مع الهُدهد.

---

(1) الآيتان 27 ، 28 سورة النمل.

(2) الآيات 29 : 32 سورة النمل.

- **اللوحة الثالثة :** وتنقسم إلى ثلاثة مناظر :

أ. المنظر الأول / وصول الرُّسل إلى سُليمان وعودتهم :

جاء الرسل إلى سليمان بالجواهر الثمينة والهدايا النادرة والفاخرة؛ ولكن سليمان لم يأخذ منها شيئاً، وخاطبهم بلهجة المؤمن الصادق الإيمان أن ارجعوا إلى بلادكم وأننا سوف نأتيكم بجنود لا قبلَ لكم بها ونخرجكم من دياركم أذلة صاغرين، وقد جاءت ترجمة ذلك في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (37) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)**﴾ [1].

ب. المنظر الثاني / اجتماع سليمان الطارئ للنظر في هذه المسألة :

اجتمع سليمان مع رجاله وجنده من الجن والإنس، وطلب منهم من يستطيع أن يأتيه بعرش بلقيس قبل أن يأتوا مسلمين وذلك بعد معرفته أن ملكة سبأ ستأتي مع رجال دولتها لتنظر فيما يدعو إليه سليمان.

وأراد سليمان أن يريها شيئاً من عجائبه التي مَنَّ الله بها عليه، فقال عفريت من الجن لسليمان أنا أُحضر إليك عرشها ((**قبل أن تقوم من مجلس الحكم – وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم – وغرضُه أنه يأتيه به في أقل من نصف نهار**)) [2]، وهو عليه قادر وأمين على ما فيه من جواهر ودُرر وغيرها.

ويقول رجل[3] من رجال سليمان عنده علم من الكتاب أنا آتيك بعرشها قبل أن يرتد إليك طرفك أي قبل أن تُطبق جفنيك بإذن الله، وقد جاء تصوير هذه الأحداث في قوله عز وجل : ﴿**قَالَ**

---

(1) الآيتان 37، 38 سورة النمل.

(2) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ409.

(3) قيل هو آصف بن برخيا، ابن خالة سليمان لقوله، نقلاً عن : عبدالرحمن السهيلي – التعريف والأعلام فيما ابهم من القرآن من الأسماء والأعلام – دراسة وتحقيق عبدالله محمد علي النقراط – ط1 (منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي – طرابلس، الجماهيرية – 1992 م – 1401 و.ر) – صـ237.

يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (39) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (40) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (41) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ (42)﴾ [1].

وقبل وصول ملكة سبأ إلى فلسطين أمر سليمان بتغيير بعض معالم عرشها امتحاناً لها واختباراً لذكائها ورجحان عقلها، والتنكر هو تغيير بعض الملامح دون المساس بالجوهر وهو تغيير هيئة عرش هذه الملكة، بعد أن أحضره الرجل الذي عنده علم من الكتاب.

جـــ. المنظر الثالث : وصول ملكة سبأ وإعلان إسلامها :

وصلت بلقيس والوفد المرافق لها إلى بلاد سليمان عليه السلام، وعند وصولها سُئلت عن العرش الذي أمامها الآن، حيث قيل لها : أهكذا عرشك ؟ أجابت غير مُنلجلجة، وقالت : كأنه هو. هي في الواقع قد تركت عرشها هناك في سبأ، وعندما نظرت إلى العرش بعد تغيير بعض معالمه، فهي لم تقل ليس هو ! ولم تقل هو !

وقال سليمان لقد أُوتينا العلم قبل هذه المرأة بقدرة الله سبحانه وتعالى وكنا مسلمين قبلها، وما منعها من دخول الإسلام عبادتها هي وقومها للشمس والقمر.

وبعد ذلك فقد أعدّ لها سليمان قصراً فخماً عظيماً من زجاج صافي لكي يُريها عظمة سلطانه ومُلكاً اعز من مُلكها [2].

وحين قيل لها ادْخلي الصرح حَسِبَتْهُ لُجّة ماء، فهي لم تشُكّ في أن الذي أمامها ماء كثير، فلما أرادت الدخول على سليمان **((كشفت عن ساقيها تريد الخوض في تلك اللّجة فقيل لها عندئذ إنه صرح مُمرّد من قوارير، فقد كانت دهشتها عظيمة إزاء هذه المفاجأة حيث وجدت نفسها أمام**

---

(1) الآيـــات 39 : 42 ســـــورة النمل.

(2) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – تحقيق حامد أحمد الطاهر – جـ3 – مرجع سابق – صـ589.

فنٍ وجمال ليس في مقدور البشر تصنيعه. وإزاء هذا الجمال الآخاذ، أعلنت إســـــلامها لله مع سليمان)) [1].

هذا دليل قاطع على أثر الجمال في النفس البشرية وأن سلطان الجمال الحقيقي على النفوس يؤدي بها إلى الإيمان، كما حدث لملكة سبأ ذات الجمال والمال والعقل الراجح.

وفي تشخيص وتصوير هذا المشهد نتابع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (43) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (44) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ (45) قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46)**﴾ [2].

إن القارئ لهذه القصة، يكتشف عدة مواقف ومشاهد يكون فيها الجمال عنصراً أساسياً وسمةً بارزةً في الأحداث، كما يكون للجمال الأثر البالغ والواضح، فجمال الصورة، وجمال المنظر، وحسن المنطق وجمال العقل، وقبل هذا وذاك جمال الدين والإيمان الذي حبا به الله سبحانه وتعالى رُسله ومن اصطفى من عباده.

وفي ختام هذا المبحث يُمكن القول بأن ((**أسعد النفوس هي النفس المطمئنة تلك التي أعطاها الله سعادة الدنيا والآخرة، واطمأنت إلى قوله وعدله وقوته وقدرته وعلمه ووجوده، اطمأنت إلى قضاء الله خير، ما أعطى وما منع خير. فالمنع رحمة لأنه بُعد عن الشر أو حفظٌ منه**)) [3]، تأكيداً لقوله تعالى : ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (30) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (31) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي (32)**﴾ [4]، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى، يُخاطب هذه النفس

---

(1) مصطـــــفى عبـــده – المـــــدخل إلـــى فلســـفة الجمال – مرجع سابق – صـــ244.

(2) الآيات 43 : 46 سورة النمل.

(3) محمد متولي الشعراوي – عقيدة المسلم – مرجع سابق – صـــ166.

(4) الآيات 30 : 32 سورة الفجر.

الراضية المطمئنة والسعيدة، أي ((يا أيتها النفس الطاهرة الزكية، المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقـــها اليـــوم خوفٌ ولا فزع ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (31) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي (32)﴾ [1]، أي ارجعي إلى رضوان ربك وجنته، راضية بما أعطاك الله من النعم، مرضية عنده بما قدمت من عمل)) [2].

جعلنا الله من أصحاب النفوس المطمئنة الراضية بقضاء الله وقدره، وأدخلنا في زمرة عباده الأبرار الصالحين في جنة النعيم مع سيد المرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وممن قال فيهم الرحمـــــن في كتابه الكريم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) ﴾ [3].

---

(1) الآيـــــة 31 ســـورة الفجر.

(2) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – ص559.

(3) الآيتان 09، 10 سورة يونس.

الفصـــــــــل الثـــــالث

جماليات بـــــلاغية وفـــنية

فـي القرءان الكريم.

أ. الأسلوب القرآنـي وجماليات التصوير بالاستعارة.

ب. جماليات الموسيـقا في فواصـل الآيات القرآنية.

الفصـــــــل الثـــــالث

جماليات بـــــلاغية وفـــنية

في أسلوب القرءان الكريم.

(أ)

الأسلوب القرآني وجماليات التصوير بالاستعارة.

القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، أنزله الله على سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ وقد نزل باللغة العربية، حيث يقول الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾ [1].

وعندما سمع كفار قريش القرآن الكريم وتلاوته لأول مرة، تعجبوا، وأخذتهم الحيرة مما سمعوا – وهم أهل الفصاحة والبيان – حيث أنه ليس شعراً، وليس قول كاهن، فلا عجب فقد احتارت الجن وتعجبوا عندما سمعوا تلاوة القرآن الكريم، يقول المولى عز وجل وقوله الحق دائماً: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (2)﴾ [2].

وقبل أن ننتقل إلى جماليات الصورة الإستعارية في القرآن الكريم، نتناول بشيء من الإيجاز، مفهوم الأسلوب بصفة عامة، والأسلوب البلاغي للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذي فُصلت آياته وأُحكمت إحكاماً متيناً، مترابطاً، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (2)﴾ [3].

أولا : مفهوم الأسلوب :

إن الاهتمام بالأسلوب، ومحاولة الكشف عن مستوياته ومناهجه، قاد الباحثين إلى الاهتمام بمفهومه، وقد اختلفت الآراء في تحديد مفهوم الأسلوب، وتحديد أو رسم أُطر خاصة به.

وبالنظر في الأصل اللغوي للفظ (أسلوب)، في المعاجم العربية، نجده مجازاً بمعنى الامتداد، فالطريق الممتد أسلوب، وكذلك السطر من النخيل، والأسلوب الوجه، والمذهب؛ يُقال : أنتم في أسلوب خير، ويُجمع على أساليب [4].

---

(1) الآيـــة 02 سورة يوسف.

(2) الآيتان 01، 02 سورة الجن.

(3) الآيتان 01 ، 02 سورة فصلت.

(4) ينظر، أ. مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – مرجع سابق – صـــ316.

ب. ابـــن منـــظور – لســـان العـــرب – مـــادة (س ل ب).

أما ((أصل الكلمة لاتينياً Stylus، والأسلوب في الفن معناه (الشكل الخاص) أو النظام الفني المستقى من حصيلة عناصر شكل العمل الفني كتكوين مُبتكر، مُضافاً إليه تفاعل هذه العناصر على مدى عمر التكوين. فهو نظام فني يستهدف الاستساغة والقبول والانسجام، لتحقيق التعبير الجمالي)) [1]؛ ويُعد ابن خلدون، من أبرز المفكرين العرب، الذين بسطوا الكلام في الأسلوب، حيث قال : ((ولنذكر هُنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة [صناعة الشعر][2]، وما يريدون بها في إطلاقهم فأعلم أنها عبارةٌ عن المنوال الذي تُنْسَجُ فيه التراكيب، أو القالب الذي يُفْرَغُ فيه)) [3].

كما يعتبر ابن خلدون الأسلوب صورة ذهنية للتراكيب، فيقول : ((وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويُصَيِّرها في الخيالِ كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصُّها فيه رصّاً، كما يفعله البنّاءُ في القالبِ أو النسّاجُ في المنوال ... فإن لِكلِّ فنٍّ من الكلامِ أساليب تختصُّ به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة)) [4].

أما من الناحية العملية، فإن الأسلوبيين يرون أنه في مقدور مستعمل اللغة "المُنشئ"، أن يتصرف في هياكل دلالاتها، أو أشكالها التركيبية، تصرفاً ينتقل به الكلام من المستوى العادي للّغة، إلى المستوى الإبداعي فيها.

وعادة ما يجد المُنشئ أمامه مجموعة من الخيارات المتمثلة في مجموعة من الألفاظ القائمة في الرصيد المُعجمي، التي تتميز بطواعية الاستبدال[5] فيما بينها، بحيث لو أُختيرت إحداها

---

(1) كمال عيد – فلسفة الأدب والفن – ط. بدون – ليبيا، تونس – الدار العربية للكتاب – 1398 هـ – 1978 م – ص25.

(2) [ ] زيادة يقتضيها السياق.

(3) ابن خلدون – المقدمة – ط1 – بيروت، لبنان – دار الكتب العلمية – 1413 هـ – 1993 م – ص489.

(4) المرجع السابق – ص489، 490.

(5) الاستبدال، هو : (مصطلح يدخل في تعريف عملية الكلام ذاتها. ويقصد به مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام ومجموعة تلك الألفاظ القائمة في الرصيد المُعجمي للمتكلم)). المرجع السابق – ص138.

استبعدت الأخرى، ((فالمتكلم هو المتحكم في اللغة، ويحق له بذلك أن يستخدم كلمة قديمة في معنىً جديد، كما يحق له من أجل تقديم عمل إبداعي فني ذي قيمة جمالية أن يُحدث نوعاً من التقلبات الجمالية، بين العلاقات اللغوية؛ وأن يُلغي الرابط المفترض بين اللفظة ومدلولها. وهذا التوسع وهو ما أطلق عليه علماؤنا القدامى، لفظ المجاز، والذي هو في جوهره عدول عن الحقيقة، واستبدال لها)) [1].

وقد نال المجاز عامة، والاستعارة التصويرية خاصة، أهمية كُبرى جعلتها تستأثر بمعظم اهتمام علماء اللغة القُدامى، فبرز من بينهم (عبدالقاهر الجرجاني)، الذي وعى جيداً خصوصية الأهمية التي تحظى بها الاستعارة في مباحث المجاز، فلم يفته أن يذكر فضلها، ويُظهر أثرها البياني والجمالي، فهي عنده ((**أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً ... وأسحر سحراً ... وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخيّر لها الجمال، وعنى بها الكمال ... وأن تأتيك على الجُملة بعقائل** [2] **يأنس إليها الدّين والدنيا، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا، وهي أجلُّ من تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها**)) [3].

ثانيا : التصوير بالاستعارة :

تعد الصورة الإستعارية، أبرز مباحث العدول الاستبدالي، حيث إن اللغة العربية – لا سيما وهي لغة القرآن الكريم – ثريةٌ بهذا النوع من العدول.

وقد شد العدول الاستبدالي اهتمام البلاغيين القُدامى، فالمتأمل في فكر (**عبدالقاهر الجرجاني**) [4]، وفلسفته للمجاز، يلحظ أنه قد تنبّه إلى تجدد المواضعة، وتطور الدلالة الوضعية، وعدم تجمدها عند لفظ مُعين. والمجاز قد يتحول إلى وضع لغوي جديد. وبالتالي فإن الجرجاني

---

(1) مصطفى إبراهيم الزعبلاوي – العدول في أسلوب القصص القرآني (رسالة ماجستير) جامعة 7 أكتوبر مصراتة– 2005. 2006م – صـ41.

(2) جمع عقيلة. وهي المرأة الكريمة.

(3) عبدالقاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – مرجع سابق – صـ54، 55.

(4) هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد – واضع أصول نظرية النظم، أشهر كتبه دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة توفي سنة 471 هـ. – نقلاً عن : صبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – مرجع سابق – صـ214.

يُعَرِّف المجاز بقوله : ((**كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم تُوضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز. ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن إلاّ أن هذا الإستناد يقوى ويضعف**)) [1].

ولقاعدة الاستبدال أثر كبير في الإحساس بالجانب الفني للغة، وبخاصة عند نصٍ هو غاية في الأهمية والروعة والإبداع الجمالي الذي لا يرقى إليه إبداع، ولا يُضاهيه جمال وروعة، ألا وهو : (**النص القرآني**) ، فعندما نتأمل قوله تعالى : ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (37)**﴾ [2]، نجد التعبير القرآني هنا، يصور في مشهد حسيّ متحرك. عملية مألوفة، ومنظراً مألوفاً، ألا وهو : تعاقب الليل والنهار؛ فقد استُعيرَتْ كلمة (**نسلخُ**)، لإخراج النهار من الليل، مع العلم أن الأصل فيها كشط الجلد وإزالته عن الشاه ونحوها، كما ورد في المعجم الوجيز: ((**(سَلَخَ) الجِلْدَ ــ سَلْخاً : كشَطهُ ونَزَعهُ. و ــ اللهُ النهارَ من الليلِ، أو الليــلَ من النهارِ – سَلْخاً : كشفه وفصله**)) [3].

وفي الآية الكريمة عدول عن النمط الدلالي المعتاد، إلى نمط جديد يفيض جمالاً وجلالاً، فإذا كانت الدلالة الأولية البسيطة، تقف في الآية عند حدود تعاقب الليل والنهار، فإن الدلالة العدولية الجديدة، بما تضمنته من تشبيهٍ خفي مستور، قد اجتازت ذلك، بأن منحت هذا التعاقب إحساساً بدقة فصل النهار عن الليل، وبالتالي جاء التعبير بالفعل (**نَسْلَخُ**)، المستعمل لغوياً في نزع جلد الشاة عنها.

---

(1) عبدالقاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – شرح وتعليق وتحقيق (عبدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شــرف) – طــ1 – بيروت، دار الجيل – 1411 هــ – 1991 م – صــ317، 318.

(2) الآية 36 سورة يس.

(3) مجـــمع اللــغة العربية – المعجم الوجيز – مرجع سابق – صــ317.

واختيار اللفظ اللغوي "نَسْلَخُ" يُحدث توافقاً بين شيئين اثنين، أولهما : التوافق بين وحشة الشعور بالظلمة، ووحشة التعبير بالسلخ. وثانيهما : التوافق بين التدرج في فعل السلخ، والتدرج في زوال النهار وسيطرة الظلام [1].

فما كُنا لِنُحِسَّ ببهاء الصورة وجمالها وتألقها، لولا هذا التمازج اللغوي، بين المألوف وغير المألوف، وما كُنا كذلك لندرك وجود علاقة بين تعاقب الليل والنهار، وبين سلخ الشاة. هذا السلخ الذي أُعيد استخدامه في الآية الكريمة، ليقدم لنا صورة جمالية ذهنية جديدة غاية في الروعة والجمال، نستطيع تصورها وتجليها وإدراكها، من خلال إدراك المشابهة الناجمة عن دقة البناء الاستبدالي في الاستعارة القرآنية.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم نقف على نموذج آخر من جمال الصور الإستعارية اللطيفة، الجميلة، نستطيع من خلالها أن نتبين ما يحدث فيها من عدول واستبدال رائع وجميل. في قوله سبحانه وتعالى : ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**﴾ [2]، فالملاحظ في هذه المرة، أن الكلام قد سُلك به مسلكاً استبدالياً قضى باختيار الفعل (اشتعل)، من بين بدائل عدة، مثل : **انتشر** أو ظهر أو **اختلط** أو **امتزج**، وغيرها؛ ثم إسناد هذا الفعل إلى الرأس لفظاً، في حين أنه مُسند في المعنى إلى (**الشيب**)، كذلك فالفعل (**اشتعل**) لا يُراد به هُنا معناه المُعجمي المعروف، وهو – اشتعال والتهاب النار [3] – وإنما معنى بديل اكتسبه من السياق، حيث رُسمت وظهرت أمامنا صورة عجيبة وغريبة بعض الشيء، رأينا فيها الشّعر، وقد اشتعلت النار فيه؛ وهذا التصوير الفني الدقيق، يبعث في النفس إحساساً بسرعة التقدم في العمر، مأخوذاً من سرعة اشتعال النار في القش.

---

(1) ينظر، عبدالقاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – مرجع سابق – صـ78 : 80.

(2) من الآية 04 سورة مريم.

(3) مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – مرجع سابق – صـ345.

ولو أعدنا ترتيب العلاقة بين الدوال في الآية الكريمة إلى أصلها المفترض المعدول عنه، بالقول، مثلاً – انتشر شيب الرأس – لبهتت الصورة، ولزالت عنها بذلك الخاصية الأسلوبية والجمالية المكتسبة من العدول [1].

ويقول تبارك وتعالى : ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ...﴾ [2]، و ((التفجير للعيون في المعنى أوقع على الأرض ... وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيوناً كُلها وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها. ولو أجرى اللفظ على ظاهره فقيل : وفجّرنا عيون الأرض أو العيون في الأرض، لم يفد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض وتبجس من أماكن منها)) [3].

وجاء القرآن الكريم بلغة العرب الذين نبغوا وبرعوا في تصوير الأحداث تصويراً فنياً دقيقاً، وذلك من خلال مناظراتهم وخطبهم البلاغية، ولكن بلاغة وفصاحة القرآن الكريم، فاقت بلاغتهم في التصوير والتشبيه، فقد اندهش العرب وهم أرباب البلاغة – في عصرهم – عندما جاء النبيُّ العربيّ الأميُّ، بهذا الكلام البليغ الذي لا يُشبه كلامهم، بالرغم من أن مفرداته تتكون من نفس الحروف، فقد نزل القرآن الكريم ((بلسان عربي مُبين، وهذا يعني أنه اختيار من بين إمكانيات لغوية كثيرة، أتاحتها ثروة العربية وغناها، ثم إنّا إذا فصلنا بين اختيار متكلم من البشر، واختيار كلام خالق كل شيء؛ تبيّن لنا وجه مفارقة الأسلوب القرآني للأسلوب البشري من حيث إن طبيعة الإنسان مهما كانت ثقافته، ومهما اتسعت معارفه، تجعله لا يستطيع أن يطوع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره، من دقائق المعاني، ولطائف الأخيلة، فهو كثيراً ما يضطر إلى النزول عن بساط خياله المحلق، لحاقاً بكلمة هي دون خياله الخصيب، بيد أن القرآن الكريم لا يُعجزه إطلاقاً أن تكون الكلمة دوماً في مستوى المعنى المُراد، على أدق وجه وفي أكمل صورة، وهذا

---

(1) عبدالقاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – تصحيح وتعليق، السيد محمد رشيد رضا – ط6 – القاهرة – مكتبة محمد علي صبيح وأولاده – 1380 هـ – 1960 م – صـ79، 80.

(2) من الآية 12 سورة القمر.

(3) عبدالقاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مرجع سابق – صـ80.

سرُّ إعجازه وآية من آيات بلاغته وروعته)) [1]؛ فكلام الله سبحانه وتعالى، أعلى وأشرف وأرفع وأنبل من أن يُقابل أو يُعارض به كلام، لأنه الكلام الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، وهذا نوع من الإعجاز.

والاستعارة، فن من فنون العرب الكلامية التي برعوا فيها، فهي ترتبط بالتشبيه، من حيث قدرتها على التصوير اللغوي فنياً من حيث التقديم الحسّي للمعنى المُراد بيانه، **((ولما كان الوجه الذي أقبل به القرآن على العرب وجه تلك البلاغة المُعجزة، فقد كان من إعجازه أن يأتيهم بأفصح ما تنتهي إليه لغات العرب جميعاً، وإنما سبيل ذلك من لغة قريش. وهذه اللغات وإن اختلفت في اللحن والاستعمال، إلاّ أنها تتفق في المعنى الذي من أجله صار العرب جميعاً يخشعون للفصاحة من أي قبيل جاءتهم ... وقد استوفى القرآن الكريم أحسن ما في تلك اللغات من ذلك المعنى، وبان منها بهذه المناسبة العجيبة التي أظهرته على تنوُّعه في الأوضاع التركيبية مظهر النوع الواحد، وهي مناسبة مُعجزة في نفسها))** [2]. فالإحساس بالشيء ورؤيته في التشبيه، غيره في الاستعارة، وكأن هناك درجات يرتقي بها الحس والخيال في التشبيه. فمثلاً في قوله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (13)**﴾ [3]، نجد التشبيه يقوم على ملاحظة صفة مشتركة بين أكلهم وأكل الحيوانات، ويُراد بهذا التشبيه هنا، التخسيس لهم والازدراء بهم في هذه الحال، ووصفهم بالجهل والدناءة، وأنهم – أي الكفار – يأكلون للشره وأنهم كالبهائم، وأنهم في هذه الدنيا يتمتعون لا هَمّ لهم سوى بطونهم، ولا يلتفتون

---

(1) محمد كريم الكوّاز – الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم – ط1 – طرابلس – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – 1426 ميلادية – ص272.

(2) مصطفى صادق الرافعي – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – ط8 – دار الكتاب العربي – ب ت – ص63.

(3) الآية 13 سورة محمد ﷺ.

إلى الأخرة، فالنار مصيرهم ومنزل مُقامهم، والألفاظ باقية على حالها في هذا التشبيه، وفيه الطرفان مذكوران [1].

وهناك التشبيه المؤكد، وهو الذي حُذفت منه الأداة، وفيه تصوير مختلف، كما نراه في قول الله سبحانه وتعالى في صفة الجبال يوم القيامة؛ حيث قال الله تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (90)﴾ [2]، فالجبال تسير كما تُسَيِّر الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها ساكنة في مكان واحد لا تتحرك، ولكنـــها – أي الجبال – تَمُرُّ كما يَمُرُّ السحاب. وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد، إذا تحركت لا تكاد تُبين حركتها. فالتصوير هنا في هذا التشبيه، يعتمد على نوع من التخيّل. إذ الناظر يتخيّل الجبال ثابتة وهي تتحرك حركة بطيئة، كما أننا نرى الشمس والقمر وسائر الكواكب ثابتة، في حين أنها تتحرك وفق مدارات ومسارات محددة ومعلومة، وأُسُس ثابتة بقدرة العلي القدير [3].

ويقول العزيز العليم في كتابه الكريم : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (37) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (38) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (39)﴾ [4].

فكلُّ شيء مخلوق لغاية، ويسير بالكيفية التي قدّرها له الله، وبالسرعة المحددة دون زيادة أو نقصان، وكلّ شيء موزون بميزان القدر ويسير في طريقه المرسوم له وفق نظام مُعد بإحكام من عند المولى سبحانه وتعالى.

ولكن التصوير بالاستعارة، يعتمد على نوع من الإدراك الذي تتغير وتتحول فيه الأشياء عن طبائعها العادية والمألوفة، وتأخذ شكلاً وصورة جديدة، ونمطاً غير النمط السابق، وكذلك حقائق أخرى جديدة.

---

(1) محمـــــد الكُوّاز – الأسلـــوب البـــلاغي للقـــــرآن الكريم – مرجع سابق – صـــ406.

(2) الآية 90 ســـــورة النمل.

(3) محمد الكُوّاز – الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن – مرجع سابق – صـــ406 وما بعدها.

(4) الآيات 37 : 39 سورة يس.

ومثال ذلك في القرآن الكريم، ما جاء في صفة جهنم، حيث يقول تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً (12) ﴾ [1]، في هذه الآية الكريمة، تم تشبيه جهنم في حالة غليانها بإنسان هائج مثل الحيوان المفترس المخيف، وهو يثور ويزفر من شدة الغضب.

والاستعارة في الواقع ليست كلاماً حشواً أو ألفاظاً ليس لها معنى، أو هي تلاعب بالألفاظ والكلمات، وإنما هي في الحقيقة تُبرز البيان، وتجعله في صورة مُستجدة، أي متجددة دائماً وإن تكررت في عدة مواضع، إلاّ أن لها في كل موضع من المواضع شأناً مفرداً وخاصاً دون غيرها ومزية وفضيلة وجمالاً، فيقول – عبدالقاهر الجرجاني – في تشخيص البلاغة : **((فإنكَ لترى بها الجمادَ حياً ناطقاً، والأعجمَ فَصيحاً، والأجْسَامَ الخَرْسَ مُبِيْنَةً، والمعانيَ الخَفِيَّةَ بَادِيةً جلية))** [2].

وللاستعارة أثر في نفس المُتلقي، ويتبين ذلك من وصف العلي القدير لمشهد من مشاهد يوم القيامة، في قوله تعالى : ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً (95) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً (96)**﴾ [3]، ففي هذه الآيات الكريمة، تم اختيار **(الموج)**، – وهي حركة الماء القوية في البحر – **((حيث استعار حركة الماء، لحركة الناس يوم القيامة، والاستعارة تصور الجمع المحتشد، الحائر، المضطرب))** [4].

هذا تصوير حيّ، ومشهد عظيم، لحالة الناس وذهولهم في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ذلك اليوم الذي يصوره لنا الخبير العليم، يوم الفزع الأكبر من زلزلة الساعة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ**

---

(1) الآيـــة 12 سورة الفرقان.

(2) عبـــدالقاهر الجرجـــاني – أســـرار البـــلاغة – مـــرجع ســـابق – صـــ56.

(3) الآيتـــان 95، 96 سورة الكهف.

(4) محمد الكوّاز – الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآني الكريم – مرجع سابق – صـــ407.

سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾ [1]؛ بل هذا أقل ما يمكن تصويره عن مشهد من مشاهد ذلك اليوم العظيم، الذي ينشغل فيه الناس، فالأم تذهل عن ابنها، وتضع كل ذات حمل حملها، ويبقى الناس مدهوشين حيارى من هول المفاجأة، وتراهم مثل الموج يضرب بعضهم بعضاً، وهم كالسُكارى، وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله لمن كفر شديد.

وعن خصائص الاستعارة، يقول الجرجاني : ((**ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدُرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر**)) [2].

ويستمر الجرجاني حتى يصل إلى التجسيم بالاستعارة، فيقول : ((**إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون**)) [3]، فاللغة العربية مليئة بالاستعارات والألفاظ المختلفة التي لها خصائص ومميزات، فهي اللغة التي شرفها الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم.

---

(1) الآيتـــان 01، 02 سورة الحج.

(2) عبـــدالقـــاهر الجـرجـــاني – أســـرار البـــلاغـــة – مـــرجـع ســـابق – صـ55.

(3) المرجع السابق – صـ56.

الفصـــــــــل الثـــــالث

جماليات بـــــلاغية وفـــنية

في أسلوب القرءان الكريم.

(ب)

جماليات الموسيقا في فواصل الآيات القرآنية.

القرآن الكريم آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى، على سيدنا محمد ﷺ ليكون المعجزة الأبدية. حيث نزل هذا الكتاب باللغة العربية التي يتحدث بها القوم. فعندما سمع كفار قريش القرآن الكريم وتلاوته لأول نزوله. تعجبوا واحتاروا في هذا النظم الجديد الذي يخالف الشعر، والنثر، وكذلك يخالف كلام الكهنة والعرافين.

ومما زاد في هيبة القرآن الكريم، أسلوبه الرصين، والجرس الموسيقي والانسجام الصوتي في الآيات التي سمعوها، والفواصل المنتظمة بين الآيات، وقد انبهر به كل من سمعه، لأن من يقرأ كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره **((يجد أنه لم تخل سورة من سور القرآن من الفواصل التي هي كالأسجاع حتى ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمـــن وسورة القمر وسورة الكوثر وغيرها، وهذه الفواصل القرآنية تجمع حُسن النظم مع عذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وحُسن الدلالة فتأتي الفاصلة كالعاقدة للمعاني .. فهي كالبرعم للنباتات، والأكمام للشجر، والبصمة للبنان))** [1].

لقد أثارت بلاغة الفواصل القرآنية إعجاب العرب واهتمامهم، مما زاد في حيرتهم ودهشتهم واستغرابهم. فمن **((أروع صور التحدي التي تميز بها القرآن تلك الفواصل التي تتمتع بها الآيات، حيث تكون الفاصلة شاهدة في موقعها على أنها من لدن حكيم خبير، تدل بنفسها على أنها ليست من تأليف محمد ﷺ كما أنها تدل في الوقت نفسه على صدق نبوته))** [2].

والفاصلة في القرآن الكريم لم تأت اعتباطاً فهي ليست كأسجاع الكهنة والرُهبان، وأصوات حروف القرآن الكريم، هي نفس أصوات اللغة العربية التي شرّفها الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم.

((ولمّا كان القرآن قد نزل بأفصح أساليب الكلام العربي فقد جاءت فواصل الآيات بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم، ولكنه لم يجئ كُله على أسلوب واحد، ولهذا نجد التنوع في الفواصل

---

(1) كمال الدين مرسي – فواصل الآيات القرآنية – مرجع سابق – صـ9.

(2) الـــمرجع السابق – صـ45.

أيضاً داخل بعض السور ... فلا تكون زينة الكلام بالسجع على حساب المعنى، فليس في تقفية الفواصل في القرآن تكلّف ولهذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل.

فالفاصلة تأتي متناسبة مع المعنى تماماً بحيث لا يستطيع إنسان مهما أُوتي من الفصاحة والبيان أن يُحركها من مكانها ويأتي بغيرها، وفي هذا إعجاز للبشر أيما إعجاز)) [1]؛ ولكن أسلوب القرآن الكريم قد أفاد كثيراً من الصوت ما امتاز به وفارق به العديد من أساليب العرب الأخرى، وهو الإيحاء الصوتي، وهذا يتضح من خلال القيمة التعبيرية للصوت، بحيث يشترك الصوت في الدلالة على المعنى، وكذلك التلاؤم الذي يُبين القيمة الذاتية للألفاظ.

- الفاصلة القرآنية وأهميتها :

يمكن القول بأن الفاصلة القرآنية : هي كلمة آخر الآية، والفاصلة هي الكلام المنفصل عمّا بعده، ويمكن أن تكون رأس الآية، بالرغم من أنه لم ينفصل الكلام، كما أنه هناك اختلاف بين الفاصلة القرآنية وبين سجع الكُهان، ((لأن المعنى في السجع يتبع اللفظ، أما في الفاصلة فاللفظ تابع للمعنى ... والذي دعا العُلماء إلى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموه سجعاً هو تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام وعن تنزيهه عن سجع الكهان)) [2].

وفاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر، وإنما سُميت بالفاصلة، لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولا يجوز تسمية رؤوس الأيات قوافي إجماعاً [3].

والفاصلة في القرآن الكريم؛ يمكن القول بأنها تُكسب الأسلوب القرآني قوة وتماسكاً، وذلك من خلال انسجام الألفاظ وانسياب الأنغام في الأيات القرآنية، ((وتظهر أهمية الفواصل في تفرّد القرآن الكريم بها، إذ جعلت القرآن نمطاً جديداً من أنماط الكلام العربي، فإذا كان الكلام العربي

---

(1) المرجع السابق – صـ59، 60.

(2) أحمـــد عمـــر أبوشوفة – المعجزة القرآنية – الطبعة الأولى – بنغازي – دار الكتب الوطنية – 2003 ف – صـ172.

(3) جـــلال الـدين الســـيوطي – الإتقـــان فـــي علـــوم القـــرآن – جـ2 – مـــرجع ســـابق – صـ97.

قبل الإسلام شعراً أو نثراً، فإنه، بعده، أصبح قرآناً وشعراً ونثراً. ومن هنا لم تَسَمَّ الفواصل إسجاع تشريفاً للقرآن الكريم)) [1].

ويمكن القول بأن الفواصل وجه من وجوه الإعجاز القرآني، فمن فوائدها، إنها تُسهم في تمكين المعنى والإيغال فيه. والإيغال هو ((**تجاوز المعنى الذي يتكلم به المتكلم إلى أن يبلغ الزيادة عن الحد. يقال : أوغل في الأرض إذا بلغ مُنتهاها، وهكذا المتكلم يذيع معناها ثم يتعداه بزيادة فيه فيكون قد أوغل**)) [2]، ففي قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾ [3].

- الجرس وأهميته في القرآن الكريم :

للقرآن الكريم إيقاع محسوس وبارز لا تمله الأسماع، على الرُغم من خروجه عن أوزان الشعر؛ فقد مزج الأسلوب القرآني بين صوتية ألفاظه – وهي الإيقاع الذي عليه نظمه – وبين طبيعة أصوات حروفه وكلماته، مزجاً فنياً يصْعب الفصل بينها غالباً، حيث ((**يستقى الجرس دلالته من المفهوم اللغوي والاصطلاحي، فهو في اللغة والاصطلاح، متصل بالناحية الصوتية من الأسلوب إذ هو (الصوت والنغم) وهو قيمة جوهرية في الألفاظ، وبنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الجرسي بما يوحيه إلى السامع باتساق اللفظة، وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي**")) [4].

لقد ورد في القرآن الكريم التنبيه على أهمية الجرس وأثره في السامعين، في قوله تعالى : ﴿... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)﴾ [5]: والترتيل هو : اتباع الآي بعضه بعضاً، أي إقرأ يا

---

(1) محمد كريم الكوّاز – الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم – مرجع سابق – ص339.

(2) أحمد عمر أبوشوفة – المعجزة القرآنية – الطبعة الأولى – مرجع سابق – ص179.

(3) الآية 189 سورة البقرة.

(4) المرجع السابق – ص327.

(5) الآية 04 سورة المزمل.

محمد القرآن جملةً واحدةً ولا تقتطع القرآن أجزاء. وجاء في المعجم الوجيز : رتّل الشيء : **نَسَقَهُ ونَظَمَهُ. ورتّل الكلام : جَوّد تلاوته** [1].

ومن جرس أصوات الحروف في القرآن الكريم، أنها ذات إيقاع موسيقي مُحدّد ينبعث من تآلف أصوات الحروف والكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، فإن مردّ ذلك كلّه إلى الإدراك الموسيقي، فحين **((تتسمّع همس السين المكررة تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقوعها في قوله تعالى : ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18)﴾** [2]**، بينما تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة "تحيد" بدلاً من "تنحرف" أو "تبتعد" في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾** [3].

وتقرأ قوله تعالى : ﴿... فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ...﴾ [4]**، فلا ترى في المُعجم غير كلمة "زُحْزِحَ" تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات، وما يُصاحبه من ذُعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه !.**

وليأخذنك من الغيظ مثل ما يأخذ جهنم حين تتسمع لفظ "تميّز" من قوله تعالى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [5]**، وليستولين عليك القلق وأنت تكرر، هاء السكت في أكثر فواصل سورة "الحاقة" فتنسى وأنت تتلو قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَى عَنِّيَ مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾** [6]**، أن الذي هلك سلطانه من أُوتيَ كتابه بشماله))** [7]، الذي أوتي المال والسلطان ولم يُغنيا عنه شيئاً يوم يكون الحساب بالأعمال الصالحة فحسب.

---

(1) مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – مرجع سابق – صـ254.

(2) الآيات 15 : 18 سورة التكوير.

(3) الآية 19 سورة ق.

(4) من الآية 185 سورة آل عمران.

(5) الآية 08 سورة الملك.

(6) الآيتان28، 29 سورة الحاقة.

(7) صبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – مرجع سابق – صـ334.

أما الإيقاع، فهو الوزن أو الاتزان والتوازن والتناغم، وهو العلاقة بين الأصوات والكلمات والعبارات الطويلة أو القصيرة في تناغم وانسجام تام. ويتمثل الإيقاع في القرآن الكريم في **((انسياب الآيات انسياباً متناسقاً على نظام اختص به القرآن. فلا يمكن أن نحكم فيه مقاييس علم العروض من تفعيلات أو أسباب وأوتاد، وإن وردت بعض آياته على وزن الشعر، سبب ذلك أن القرآن منزّه عن الشعر أصلاً))** [1].

نعم القرآن الكريم منزّه عن الشعر، وكذلك الرسول الكريم مصداقاً لقوله تبارك وتعالى في هذا الأمر : **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (42)﴾** [2].

هذا هو رد العزيز الجبار على الكفار والمشركين، حيث نفى الشعر والكهانة عن القرآن وعن الرسول ﷺ.

وفي القرآن الكريم، هناك الكثير من الآيات توافق الفواصل رؤوس الآيات، وكذلك تتناسق البدء مع الختام، كما في سورة (الرحمـــن)، وإن عُد هذا فهو من **((المطابقة التي لا تجد في كلام الخلق مثلها حُسناً ولا شدة اختصار على كثرة المطابقة في الكلام. وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مُخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة))** [3].

ولنقرأ قول الحـــق تبـــارك وتعالى : **﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2)﴾** [4]، فالسجع هنا يعتبر من **((السجع المرصع غير المتكلّف كأنه حبات دُرّ منظومة في سلك واحد))** [5]، وسورة الرحمـــن هي عروس القرآن كما وصفت.

---

(1) محمد كريم الكوّاز – الأسلوب البلاغي في إعجاز القرآن – مرجع سابق – صـــ329.

(2) الآيـات 40 : 42 سورة الحاقة.

(3) كمـال الدين مرسي – فواصل الآيات القرآنية – مرجع سابق – صـــ66، 77.

(4) الآيتان 01، 02 سورة الرحمـــن.

(5) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – مرجع سابق – جـــ2 – صـــ303.

- أسرار وجماليات الإعجاز في نغم القرآن الكريم :

إن الحديث عن أسرار وجماليات نغم القرآن الكريم، معجزة جمالية أخرى متمثلة في الآيات القرآنية ذات الصور والمشاهد الفنية المُثيرة، والتي جاءت في كلمات قصيرة موجزة وواضحة، وفي صور بلاغية رشيقة، لا يستطيع الإتيان بها أمهر البُلغاء، والخُطباء، والشعراء؛ وذلك لأن القرآن الكريم، كلام الله الذي يقرع الأسماع، ويُبهر العقول، لما فيه من إيقاعات وأوزان موسيقية تهز المشاعر الوجدانية، فيقف الإنسان مشدوهاً حائراً، متأملاً متعجباً ومتفكراً، فإن في ((**كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام، يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نومئ إلى تفرّد سورة منه بنسق خاصّ إنما نُقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيّدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه !**)) [1].

هذا هو القرآن الكريم ينبع من مصدر واحد ويخاطب الجميع كل حسب حالته النفسية والوجدانية، في آيات منتظمة ذات إيقاع يختلف حسب الحالة، لأن في القرآن موسيقى داخلية تدل على تناسق وانسجام تام بين الآيات الكريمة، ((**وإن هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته، فتكاد تستقل – بجرسها ونغمها – بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهياً أو شاحباً، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً.**

أرأيت لوناً أزهى من نظرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى الله، ولوناً أشدّ تجهماً من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة في قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (21) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (22) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (23) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (24)﴾ [2].

---

(1) صُبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – مرجع سابق – صـ334.

(2) الآيات 21 : 24 سورة القيامة.

لقد استقلت في لوحة السعداء لفظة "ناضرة" بتصوير أزهى لون وأبهاه، كما استقلت في لوحة الأشقياء لفظة "باسرة" برسم أمقت لون وأنكاه.

وما أحسب شفتيك إلا منقبضتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده ولا يكاد يُسيغه، في قوله تعالى : ﴿... ويُسقَى من مَّاءٍ صَدِيدٍ (19) يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ...﴾ [1]. فتشعر في لفظ "التجرع" ثقلاً وبطئاً يدعوان إلى التقزز والكراهية !.

ولا أحسبك إلا مستشعراً عنف لفظة "الكبكبة" في قوله تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)﴾ [2]، حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يُكبون على وجوههم أو على مناخرهم، ويُلقون إلقاء المهملين، فلا يُقيم أحد لهم وزناً !.

فإن يك هذا كله في اللفظة المُفردة، تعبّر مستقلة عن لوحة كاملة، فكيف بالآية التي تتناسق في جوها الكلمات، أو في السورة التي تنسجم حول فكرتها جميع الآيات !.

من ذا الذي يقـــرأ قـــوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ (33) وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ (34)﴾ [3]، ثم لا يتخيّل في جو هذه الآية وحدها الشواظ الناري يتطاير، والنحاس الملتهب يذوب فوق رؤوس المجرمين وهم يحاولون النفاذ من أقطار السماوات.

ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن – طويلة أو قصيرة، مكيّة أو مدنية – ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبه، ويهز إيقاعها العجيب مشاعره ؟.

إن المرء ليحار إذا قرأ مثلاً سورة "الرحمان"، فيتساءل : هل انبعث إيقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيهـا كلها : في حُروفها ومقاطعها، وألفاظها وفواصلها، وفي انسياقها وانسيابها، حتى لو انتقى على

(1) الآيتـــان 19، 20 سورة إبراهيم.
(2) الآيـــــة 94 سورة الشعراء.
(3) الآيتان 33، 34 سورة الرحمـــن.

حدة مقطع واحد من مقاطعها، أو موضوع واحد من موضوعاتها الجزئية، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء !)) [1].

هكذا هو القرآن الكريم يعرض دائماً أمام القارئ أو السامع صورة بارعة الجمال ومشاهد مرئية متناسقة ورشيقة، في سورة من سوره أو آية من آياته الكريمة، بأسلوب بلاغي جميل وسهل، يأخذ الألباب ويستولي على العقول والأفئدة، فتتحول هذه الآية أو السورة إلى مشهد فني رائع أو لوحة فنية خالدة، **((كأن البلاغة فيه إنما وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واجد من كلام البُلغاء ... فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يُمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر يفوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يُشبه الخلق الحيّ تمام المشابهة. وما أنزله إلاّ الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض))** [2].

هذا هو أسلوب القرآن الكريم من خلال الجرس الموسيقي والإيقاع السلس لآياته القرآنية التي نزل بها بنفس اللغة التي يتحدث بها القوم وبنفس حروفها دون زيادة أو نقصان، فمن المعروف أن **((اللغة هي إحدى المظاهر الأساسية لوحدة الجماعة البشرية التي تؤثر تأثيراً قوياً في وحدة الذوق أيضاً، بحكم امتلاكها وسائل تعبيرية مميزة وخاصة بكل كيان اجتماعي))** [3].

إن اللغة – أي لغة – ليست مجرد حروف وألفاظ تُكتب وتُقال فقط، ولكنها في واقع الأمر هي عبارة عن تعبيرات ومعانٍ تتضمن التصوير للأشكال الفنية في إطار البيئة المُحيطة، ومظاهرها المألوفة وتطبّع الإنسان بها من خلال تعامله وتعايشه مع الآخرين، آخذين في الاعتبار القيم الموجودة في المجتمع – أي مجتمع – وعلاقة الناس بعضهم البعض على مر العصور، حيث كان العرب قبل ظهور الإسلام يفتخرون بلغتهم ويتنافسون فيما بينهم بالقصائد والمزاجلات الشعرية وما فيها من موسيقا داخلية مليئة بالأنغام الموزونة وما فيها من قوافٍ مسجوعة وما فيها

---

(1) صُبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – مرجع سابق – صـ334 : 337.

(2) مصطفى صادق الرافعي – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مرجع سابق – صـ210، 211.

(3) عبدالكريم هلال – الاغتراب في الفن – مرجع سابق – صـ89.

من بلاغة وفصاحة وبيان؛ ولما جاء القرآن الكريم، بأسلوبه البلاغي، وجرسه الموسيقي، والانسجام الصوتي في الآيات التي سمعوها، أخذتهم الهيبة والرهبة والدهشة، فقد : ((**نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليب الفصيح من كلامهم، ولكي نعيش هذا المعنى لا بد من الإطلاع على أساليب الكلام التي نقلها لنا القُدماء في كُتبهم وقدّموا لنا فيها ما أثر من كلام العرب في الأحوال والموضوعات المختلفة، حتى نعلم كيف أن القرآن الذي هو من جنس كلام العرب مُعجز في نظمه حتى عجزوا عن مُحاكاته**)) [1].

وعندما جاء الإسلام بمعجزته الخالدة – القرآن الكريم – ذلك الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، بنفس اللغة التي يتحدث بها الخطباء والشعراء – بل بنفس حروفها ومعانيها – حيث جاءهم القرآن ببلاغة عجز عن مجاراتها فحول الشعراء وأرباب الكلام عندهم. كما حدث مع عدو الله، الوليد بن المُغيرة، عندما سمع القرآن ورق قلبه له، ولكن الكُفر والعصيان منعاه من الإسلام وبقي على الكُفر والشرك. وعندما سُئل ماذا تقول فيه يا أبا عبد شمس ؟ قال : ((**والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة. وإن أصله لَمُثْمِرٌ. وإن فَرْعَهُ لَجَنَاة. وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلاّ عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر. جاء بقول هو سِحر، يُفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك**)) [2].

إن من يسمع قول الوليد المسجوع في اتفاق أخر الكلمات مثل : (**لحلاوة**)، (**لطلاوة**)، (**وأبيه**)، (**وأخيه**)، (**وزوجته**)، (**عشيرته**)، يعلم ما كان عليه العرب من فصاحة في اللغة، وتمكن من معانيها، ولكن في المقابل انظر إلى كلام الله سبحانه وتعالى الذي صوّر لنا حالة هذا الكافر الجاحد لنعمة الله، وهو يُفكر، ويقدّر، ويقلّب الكلام على وجوه عدة، حتى جاء بهذا الكلام الذي قاله لقومه؛ فأنزل الله فيه ست عشر آية[3] من سورة (**المدثر**)، حيث يقول الحق تبارك وتعالى :

---

(1) كمال الدين مُرسي – فواصل الآيات القرآنية – مرجع سابق – صـ19.

(2) صفي الدين المبارك كفوري – الرحيق المختوم– طـ17 – دار الوفاء – المنصور، مصر – 1426 هـ – 2005 م صـ86.

(3) المرجع السابق – الصفحة نفسها.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً (13) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (17)﴾ [1].

تأمل هذه الفواصل القرآنية في الآيات السابقة. والتي تُخبرنا عن حال الوليد عدو الله وعناده وكُفره وطغيانه، رُغم معرفته التامة بأن الكلام الذي جاء به محمد ﷺ، ليس بالشعر، ولا بالنثر، ولا هو بقول الكهنة والأحبار.

وفي الآيات التالية من نفس السورة يوضح لنا المولى سبحانه وتعالى الصورة كاملة لكيفية تفكير هذا الكافر المعاند بأسلوب سلس، وطريقة واضحة وسهلة ذات فواصل وأنغام مطابقة لهذه الحالة. فيقول العزيز الجبار مصوراً الحركات والسكنات والحالة النفسية لهذا المجرم وطريقته في التفكير. حيث يقول تعالى : ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (25)﴾ [2].

جاء في تفسير الجلالين [3]، توضيحٌ لهذه الصورة – صورة هذا الكافر – كما صورها لنا الحق تبارك وتعالى في هذه الآيات التي تُبيّن لنا أن هذا الكافر فكّر مليئاً فيما سيقوله معارضاً به محمداً والقرآن الذي سمعه منه، حيث قدّر في نفسه كيف يكون الرد، فقُتل كيف قدّر. أي بمعنى لُعن وعُذّب كيفما قدّر على أي حال، وبعد ذلك ينظر في وجوه القوم الذين ينتظرون الرد، ثم عبس بوجهه وقطب جبينه استعداداً لما سيقول من الشر، وزاد في القبض وزاد في الكلوح. ثم أدبر وتولى وتكبر عن الإيمان، وقال في فخر وزهو وكبرياء الجاهل، أن الكلام الذي سمعه من محمد ﷺ، ما هو إلا سحر وكلام منقول عن السحرة الذين يتعلم منهم محمد السحر – كما قالوا إنما يعلمه بشر – حيث كانوا يزعمون أن محمداً يتعلم من ذلك الأعجمي الذي كان يعيش في مكة وكان

---

(1) الآيـــات 11 : 17 سورة المدثر.

(2)الآيات 18 : 25 سورة المدثر.

(3) جلال الدين محمد، جلال الدين السيوطي – تفسير الجلالين – مرجع سابق – صـ562 وما بعدها.

النبي ﷺ، يتحدث معه، فرد الله عليهم بقوله : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ من رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103) ﴾ [1]. أما عن مصير ذلك الكافر. كما أخبرنا العزيز الجبار في هذه الآيات، بقوله : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾ [2]، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى سيُدخل هذا الكافر (سقر) وهي (جهنم)، أي النار التي لا تبقي ولا تذر، فهي تُهلك اللحم والعصب، ثم يعود من جديد – بقدرة الله – كما كان؛ فهذه النار ((لواحة للبشر))، أي مُسَوِّدة للجلود ومُحرقة لها؛ وهكذا يستمر العذاب بهذه النار المحرقة لظاهر الجلد، وهذه النار قد سأل بعض اليهود رجلاً من أصحاب الرسول ﷺ، عن خزنة جهنم، كم عددهم ؟ فأخبر النبيُّ ﷺ فنزل قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾ [3]، أي أن خزنة جهنم تسعة عشر ملكاً، غلاظٌ شداد أقوياء أولوا بأس وقوة، لا يعصـــون الله أبداً ويفعلون ما يؤمرون [4].

هذا هو شأن الإيقاع في القرآن الكريم. يأتي حسب الحالة النفسية للأشخاص، وكذلك الفاصلة فيه ليست كقافية الشعر التي ((تقاس بالتفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النَظْمَ فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تُحشد حشداً، وتُلصق إلصاقاً، ويُلتمس فيها الإبهام والإعراب، بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنجوة من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد : إن هو إلاّ أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص، يلين أو يشتدّ، ويهدأ أو يصلح ! ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس)) [5].

---

(1)الآيتان 102، 103 سورة النحل.

(2)الآيات 26 : 30 سورة المدثر.

(3)الآيات 30 سورة المدثر.

(4) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ475 : 478.

(5) صُبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – مرجع سابق – صـ340.

الفصـــــــل الرابـــــع

صُور مشاهد فنية قرآنية.

أ. سمـــــات الجمـــــال القـــــرآنـــي.

ب. تناسق المشاهد الجمالية في الكـون والإنسان.

ج. مشـــــاهد الجمـــــال فـــي الجنّـــــة.

الفصـــــــل الرابـــــع

صُور مشاهد فنية قرآنية.

(أ)

سمات الجمال القرآني.

مما لا شك فيه أن الجمال في الصنعة الألهية، موجود في كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى، وأنه أصل في الكون، فنحن نرى هذا الجمال في كل يوم – بل في كل لحظة – ابتداءً من شروق الشمس إلى غروبها، وظهور النجوم والقمر ليلاً، واختلاف أشكالها وأحجامها.

كل هذه المرئيات وغيرها من المشاهد الكونية، أشياء جميلة ورائعة؛ ولكن ألفة الناس لها جعلها تبدو مناظر عادية، وذلك باعتبار أن الجمال أصل الكون، حيث نراه يسير معنا دائماً، ولا يرى مظاهره إلاّ من ينتبه له.

إن القرآن الكريم يدعونا إلى النظر والتأمل، وتتبع هذه المشاهد الجمالية، في العديد من الآيات القرآنية، ((**تأمل الليل الهادي وصفاء السماء وتلألؤ النجوم، تأمل القمر وضياءه الفضي ينساب في كل الجنبات، تأمل الشمس وإشراقاتها وهي تلامس خيوطها الذهبية تلك اللآلئ البرّاقة من الندى. تأمل الورود وهي تتفتح عن ألوانها وأريجها، وعن تلك الفراشات السابحة. وعن خرير المياه المتدفق الرقراق وانسياب الأنهار**)) [1]، وغيرها من المظاهر والمشاهد الكونية المستمرة التي يقف عندها الإنسان متعجباً أمام هذه الروعة الجمالية والقدرة الإلهية، فلا يملك إلا أن يقول : "سبحان الله".

وقد سجّل القرآن الكريم، ورصـــد هـــذه اللحظات الجميلة والبديعة، في قوله تعالى : ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [2]. وقوله : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [3].

فالله سبحانه وتعالى، بديع السماوات والأرض، هو الخالق لكل جمال، وكل منظر حسن، مما يؤكد أن الحُسن يعني الجمال والإتقان، خاصة عندما يكون هذا الإتقان متعلقاً بالصنعة الإلهية.

((**لقد استخدم القرآن لفظ (جمال) في مجال الأخلاق أما لفظ (الحُسن) فقد ورد في القـــرآن كثيراً وقد استعمل في الصورة كما في المعاني وقد لفت القرآن النظر إلى الجمال عـــن طـــريق الحديث عن آثاره على العين وعلى النفس. وهناك سؤال قائم هل للجمال حقيقة قائمة**

---

(1) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـــ236.

(2) من الآية 90 سورة النمل.

(3) من الآيـــة 06 سورة السجدة.

موجودة ؟ أم هو مجرد شعور نفسي تجاه شيء ما ؟ وهذا الاتجاه يقضي إلى عـدم استقرار المفـــاهيم.

وقد رتب القرآن الكريم الآثار على رؤية الجمال وجعلها عامة فقال في وصف البقرة (تسر الناظرين)، والناظرين تشمل كل ناظر، فلو لم يكن الجمال قائماً موجوداً فيها لما كان السرور عاماً يتناول كل من رآها. وفي وصف الجنة (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلّذ الأعين)، جعل اللذة لكل عين يُتاح لها تلك الرؤية. هكذا فلو لم يكن الجمال مستقراً فيه لكانت هي وغيرها سواء ولكانت اللّذة لبعض الأعين. إذن فالحُسن حقيقة قائمة في ذات الشيء، ولهذا استطاع العقل الاهتداء إليها. والمشاهدون لا يختلفون على وجود الجمال في أمر جميل، بل اختلافهم تبعاً لشعورهم على درجة ذلك الجمال، فالشعور يرفع درجـة الحُسن ولكنـــه لا يـــوجده إذا كان معدوماً)) [1].

وفي القرآن الكريم، الكثير من الآيات التي استُخْدِمَ فيها لفظ الحُسن والجمال، فالإسلام دين الفن والجمال، دين المعاملة، دين العموم والشمول، وبهذا يكون ديناً متكاملاً من خلال منهج شامل للتفكير السليم. والجمال صفة من الصفات الآلهية. والإنسان المخلوق الوحيد الذي يعرف ويعي جيداً قضية وجوده. فالإنسان لم يُخلق عبثاً، ولا ينبغي له أن يعيش عبثاً – بل يجب أن تكون له غاية وهدف. وللجمال عدة سمات ضرورية لتحقيقه، ومن أهم هذه السمات (التناسق، والتنظيم).

– **التناسق** : التناسق هو : ((النظام الخفي الذي يربط الأشياء بعضها ببعض فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة متوازنة.

والتناسق بمظاهره الثلاثة من تناسب وتوازن وتجانس يكون في شكل الشيء وفي مادته وحركته، ويكون التناسق في الصورة الحسية والصورة المعنوية.

فالتناسق إذن يكون في التقدير والضبط وتحديد نسب الأشياء ببعضها بمقدار)) [2].

---

(1) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ223، 224.

(2) المـرجع الســابق – صـــ261.

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تدل على ذلك، فمثلاً قول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (9)﴾ [1]، وفي قوله جل من قائل : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (2)﴾ [2]، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)﴾ [3].

وفي صدد الحديث عن الإنسان، يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) من نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)﴾ [4]، ويقول أيضاً وقوله الحق: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾ [5]. ويقول الخلاق العليم : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾ [6].

فالتقدير والتسوية والتعديل والتحسين كلها تناسق وتناسب في بنية الكون وبنية الإنسان. فتأمل قول الحق تبارك وتعالى في هذه الآيات : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (54)﴾ [7]، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31)﴾ [8]، وكذلك قوله جل وعلا : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً

(1) من الآيـــة 09 سـورة الرعد.
(2) من الآيـة 02 سـورة الفرقان.
(3) الآيـــة 49 ســـورة القمر.
(4) الآيات 17 : 19 سـورة عبس.
(5) الآيـــة 07 ســـورة الانفطار.
(6) الآيـــة 04 ســـورة التين.
(7) الآيـــة 54 ســـورة طـه.
(8) الآيتـان 30، 31 سورة الأنبياء.

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)﴾ [1].

وفي تناسق الألوان، نتوقف عند قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾ [2].

لقد خلق الله سبحانه وتعالى، المخلوقات والموجودات بقدرٍ ودقة وتناسب وتناسق. وخلق كل شيء موزوناً. فالقرآن الكريم بآياته يوضح لنا لفتة كونية عجيبة، تطوف الأرض والسماء، حيث أنزل الله الماء من السماء، ليقع على الأرض، ويخرج به الثمار المختلفة الألوان. ثم ينتقل إلى الألوان في الجبال وفي الناس، وفي الدواب والأنعام. فالقرآن الكريم **((يعرض معرضاً للألوان ينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال وألوان الصخور وتعددها وتنوعها في تناسقها داخل اللون الواحد، حيث يوقظ حاسة الذوق الجمالي، فترى النظرة الجمالية والوحدة اللونية المشتركة. فالنص القرآني يلفت النظر إلى سمة واحدة من سمات الجمال وهي (اللون) في عدد من المخلوقات))** [3].

نعم فالألوان الزاهية تسر النظر وتستهوي النفوس التي تهفو إلى المناظر الجميلة الجذّابة، فيقوم العقل البشري بتحليل هذه الألوان، كما في قوله تعالى : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71)﴾ [4]. هؤلاء هم أهل الجنة في نعيم ومناظر جمالية وهم في سرور دائم يطوف عليهم غلمان من الجنة في غاية الحُسن والبهاء بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما لا عين رأت

---

(1) الآيات 12 : 16 سورة المؤمنون.

(2) الآيتان 27، 28 سورة فاطر.

(3) مصطفى عبده – المدخل إلى علم الجمال – مرجع سابق – صـ227.

(4) الآيتان 70، 71 سورة الزخرف.

ولا خطر على قلب بشر، وفيها جميع الألوان وأصناف الفاكهة التي يشتهونها، كما ورد في قوله تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (20) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ (21) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (22)﴾ [1]. ويقول الحق تبارك وتعالى في شأن شراب أهل الجنّة من العيون وهم يشربون منها بدون ضرر وقد مَنّ الله عليهم بحور العين وهنّ الحسناوات الجميلات الأتراب، كأنهنّ اللؤلؤ المُصان في أصدافه، وهن مستورات لا ينظرن لغير أزواجهنّ، حيث يقول تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (46) لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (47) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (49)﴾ [2].

أما عن تناسق هذا الكون وما يحويه من أرض وسماء، وبحار وأنهار وشمس وقمر، وغيرها من الكائنات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، حيث يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (96) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (97)﴾ [3]، ويقول المولى عز وجل في شأن القمر : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (38)﴾ [4].

وفي شأن الأرض وما أنبت فيها، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (19)﴾ [5]، ويقول أيضاً : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (21)﴾ [6].

---

(1) الآيـات 20 : 22 سورة الطور.

(2) الآيات 45 : 49 سورة الصافات.

(3) الآيتـان 96، 97 سورة الأنعام.

(4) الآيـــة 38 ســـورة يـــس.

(5) الآية 19 سورة الحجر.

(6) الآية 21 سورة الحجر.

إذن كل شيء بأمر الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يُقدّر بحكمته وقدرته أن كل شيء في هذا الكون موزون بميزان الحكمة الإلهية ومقدّر بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص، والجمال موجود في كل المجالات، فهو التناسق التام بين الأشياء، فالتناسق سمة من سمات الجمال.

وننتقل إلى سمة أخرى من سمات الجمال، ألا وهي سمة التنظيم.

- **التنظيم :**

هو سمة من سمات الجمال، حيث يلتقي التنظيم مع سمة التناسق، ولكن التنظيم يهتم بتناسق الأبعاد وجمالها، بينما تبقى سمة التناسق عامة وشاملة.

وقد تم استخدام سمة التنظيم في بيان جمال الجنة وألوانها وأصنافها، ومباهجها، وذلك ضمن المشاهد والصور الجمالية التي يعرضها القرآن الكريم في الكثير من الآيات التي توضّح نعيم الجنة، وما فيها من نظام وجمال وترتيب، فالسُّرر المصفوفة والزَّرابيُّ المبثوثة، والحور العين وجمالهن الساحر، والأنهار التي تجري تحت الغُرف والقصور التي أعدها الله سبحانه وتعالى لعباده المتّقين، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (18)﴾ [1]، ويرينا الله سبحانه وتعالى صورة أخرى من سمة التنظيم، ألا وهي فرح أهل الجنة بما أنعم الله عليهم بخير وفضل، وذلك جزاء لهم على إيمانهم وعملهم الصـــــالح في الدنيا، فيقول المولى في كتابه العزيز مبيناً حالة السرور والبهجة والنعيم في الجنة، فيقول : ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (17) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (18) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (19) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (20) لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لاَ يُنزِفُونَ (21) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (22) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (23) وَحُورٌ عِينٌ (24) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (25) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (26)﴾ [2]، ويقول عز وجل، في وصف النظام والتنظيم في الجنة العالية وما فيها من نعيم : ﴿فِي جَنَّـــةٍ

---

(1) الآية 18 سورة الطُّور.

(2) الآيات 17 : 26 سورة الواقعة.

عَالِيَةٍ (10) لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾ [1]

أي أن في الجنة العالية عيون كثيرة تجري بالماء العذب الفرات، الذي لا ينقطع أبداً، كما أن فيها – أي الجنة – أسرة عالية مرتفعة مصفوفة ومرصعة بالجواهر والياقوت والمرجان، وعلى هذه السُرُر الحُور العين، وهن الحسناوات الجميلات الأبكار الأتراب اللاتي جعلهن الله أزواجاً لأهل الجنة، كما توجد كذلك الأكواب الموضوعة وهي الأقداح المُعَدَّة للشرب، على حافة تلك الأسرة مملؤة وقريبة، ويوجد في هذه الجنة النمارق، وهي الوسائد المصفوفة بجانب بعضها البعض في نظام وتناسق بديع، إلى جانب الزرابيُّ المبثوثة هنا وهناك، وهي الفُرش الحريرية الفاخرة موزعة في أنحاء الجنة التي أعدّها الله لعباده المتقين جزاء لهم ومكافأة على أعمالهم الصالحة [2].

وتظهر سمة التنظيم في آيات أخرى بأسلوب آخر كالترتيب، فهناك العديد من الآيات القرآنية التي تُفيد هذا المعنى، كما في قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10)﴾ [3]، وفي قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (18)﴾ [4].

وفي معرض حديثه عن التنظيم والترتيب، فإن الله تعالى، ينبّه الإنسان ويوجهه إلى النظر في طعامه، كيف يكون ترتيبه بدقةٍ متناهية، حيث يقول العلي القدير :﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

(1) الآيات 11 : 16 سورة الغاشية.
(2) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – مرجع سابق – صـ252، 253.
(3) الآيـــــات 09 ، 10 سورة ق.
(4) الآيـــات 15 : 18 سورة نوح.

إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (26) وَعِنَباً وَقَضْباً (27) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (28) وَحَدَائِقَ غُلْباً (29) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (30) مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (31)﴾ [1].

وتظهر سمة النظام والتنظيم واضحة في البناء، فقد أخبرنا الله، عن البيوت والغُرف الموجودة في الجنة، وهي المنازل الرفيعة، فيقول جل من قائل : ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً (75)﴾ [2]. ويقول في آية أخرى مبيناً الأمن والسلام الذي يعيش فيه المؤمنون في الجنة، في قوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [3].

وفي آية أخرى نرى النظام والتنظيم والترتيب واضحاً في بناء تلك الغرف وجمال منظرها وهي فوق بعضها تجري الأنهار من تحتها، فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ (18) وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (19)﴾ [4].

ومن يتمعن في كتاب الله وآياته، يستطيع أن يلاحظ أن صفة الجمال، موجودة في كل كلمة، بل في كل حرف من حروفه؛ هذا إلى جانب المشاهد الجمالية التي يعرضها القرآن الكريم في وصف الطبيعة والإنسان والمخلوقات في هذا الكون الفسيح الجميل، بالإضافة إلى جمال وتناسق ونظام الجنة وجمالها الباهر الذي يسحر الألباب، فمن السُرر العالية المتقابلة إلى الفاكهة التي لا مثيل لها في اللون والطعم، إلى الحُور العين وجمالهن الخلاب في لباس الحرير، إلى الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ منثور، إلى الغرف والقصور والأنهار التي تجري من تحتها بمياه عذبة صافية نقية ودائمة.

---

(1) الآيات 24 : 31 سورة عَبَسَ.

(2) الآيـــة 75 ســورة الفرقان.

(3) من الآيـــة 37 سورة سبأ.

(4) الآيتان 18، 19 سورة الزُمر.

وبهذا تكون سمة التناسق والتنظيم واضحة في كثير من المجالات التي تؤدي بدورها إلى إبراز ملامح الحسن والبهاء والجمال [1].

إذن فالجمال سمة واضحة في الصنعة الآلهية، والجمال قيمة من القيم الفلسفية الثلاثة (**الحق، الخير، الجمال**)، وذلك باعتبار أن هذه القيم حقائق ثابتة في هذا الكون، ((**فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود**)) [2].

وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز : ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)**﴾ [3].

---

(1) أ. مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ261 : 263.

ب. محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ299 : 303.

(2) محمد قطب – منهج الفن الإسلامي – طبعة 5 – مرجع سابق – صـ5. 6.

(3) الآية 35 سورة النور.

الفصـــــــــل الرابـــــع

صُور ومشاهد فنية قرآنية

(ب)

تناسق المشاهد الجمالية في الكون والإنسان.

القرآن الكريم كتابٌ مفتوح، يستطيع كل قارئ أن يتأمل آياته، ويستخرج منه الصور الجميلة والمشاهد المثيرة، فالقرآن يعرض الكون وجماله وما فيه من إبداعات فنية في لوحات جمالية خالدة، تستلفت نظر الإنسان عامةً وهو يطالعه، فأول الآيات القرآنية التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ، وهو يتعبد في غار حراء بمكة المكرمة، قول الخلاق العليم : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ [1].

خمس آيات قصيرة وموجزة، ومُصوَّرة بأسلوب بليغ لحقائق هذا الكون وخالقه، فالقراءة تكون باسم الله الذي خلق كل شيء، السماء والأرض، الجبال، الأنهار، البحار، الليل، النهار، الهواء والفضاء، الشمس والقمر، وكل المخلوقات التي على هذه البسيطة من صنع الله وحده، إذ يعرض القرآن هذه اللوحات الفنية والمشاهد العجيبة لهذا الكون، يفتح للإنسان آفاق البحث والمعرفة، فالإنسان بطبعه باحث في كيفية خلقه وتكوينه، والنفس التي أودعها الله فيه، ودقة تركيبه، والآلية التي يعمل بها؛ ولكن الخالق المبدع المصور، لم يترك الإنسان في حيرته ولا ظنونه أبداً، فخاطبه العلي القدير بقوله : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)﴾ [2].

هنا توجيه من الخالق وأمر منه للإنسان بأن ينظر نظرة تأمل وتفكر في كيفية خلقه، ومن أي شيء خلقه ؟ فهو قد خُلق من المنيّ المتدفق بقوة وشدة من الرجل والمرأة، أي بمعنى خروج هذا الماء من بين الصُّلب والترائب [*]. وكنى بالصُّلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة [3].

---

(1) الآيات 1 : 5 سورة العلق.

(2) الآيات 5 : 7 سورة الطارق.

(*) الصُّلب : وهي عظم الظهر الشديد القوي، ويقال هو من صلب فلان، أي من ذريته.

الترائب : هي عظام الصدر في المرأة.

(3) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ 545.

وقد حث القرآن الكريم الإنسان في كثير من الآيات على النظر والتأمل والاستنباط والتفكر في ملكوت السموات والأرض، وإدراك الحكمة والغاية من الجمال والتناسق والإبداع والتنظيم، فيما يحويه هذا الكون من مظاهر جمالية، ومشـــــاهد مرئية تفوق قُدرة البشر. حيث يقول الحق جل وعلا : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَـــاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) ﴾ [1].

لقد أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الْمُلْكَ لله وحده فهو القادر والقاهر فوق عباده، وهو على كل شيء قدير، هو الذي خلق الموت والحياة ليختبر الناس أيهم أحسن عملاً، وهو الذي خلق سبع سموات طباقاً، أي بمعنى أن كل سماء مقببة على الأخرى في دقة متناهية وصنع بديع، لا تفاوت ولا اختلاف بينها ولا تصدع ولا خلل، فسبحان الله عما يصفون.

ثم زيّن الله السماء الدنيا بمصابيح، وهي النجوم والكواكب [*]، وقد خلق الله النجوم لثلاث خصال : زينة للسماء الدنيا، ورجـــوماً للشيـــــاطين، وعلامات يُهتدي بها [2].

ومن أهداف الآيات الكونية في القرآن الكريم، أنها توجه نظر الإنسان إلى أنه جزء صغير في هذا الكون الكبير، ولكن الله سبحانه وتعالى قد فضّله على سائر المخلوقات، وميّزه بالعقل الذي يُمكّنه من دراسة هذا الكون، واسكناه أسراره والتأمل في نظامه الجميل البديع، ليستفيد منه في معاشه الدنيوي والأخروي. يقول العزيز الجبّار : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ

---

(1) الآيات 1 : 5 سورة الملك.

(*) النجم : كتلة ملتهبة.

الكوكب : كتلة مضيئة.

(2) ابن كثير – تفسير القرآن الكريم – تحقيق حامد احمد الطاهر – جـ 4 – مرجع سابق – صـ 577.

اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (28)﴾ [1]، ويقـــول جل من قائل : ﴿أَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (27)﴾ [2].

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يُلاحظ أيضاً أسلوبه الرصين والجميل، وتنوعه في كثير من المواطن؛ وأحياناً يُلفت نظر الإنسان إلى قدرة الله العجيبة، وأحياناً إلى تعدد النعم، وأحياناً أخرى تكون هذه الآيات تهديداً ووعيداً للجاحد، بسلب النعمة منه ومعاقبته في الدنيا والآخرة، وكأن آيات القرآن الكريم في مجموعها، نداء وبيان إلهي للناس ليتفكروا في خلق الله، وتركيب أجسامهم.

وقد أقسم الله ببعض المظاهر والآيات الكونية، ليبيّن أهميتها وبديع صنعها، فالله وحده هو المتصرف فيها دون غيره ونفي الصفات التي وصفت بها هذه الكونيات، وذلك عندما غيبت بعض المظاهر الطبيعية، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (41) ﴾ [3]، ويقول تعالى أيضاً : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (50) ﴾ [4]، ويقول أيضاً : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (64) ﴾ [5].

ومن يتصفح كتاب الله العزيز، يجد فيه الكثير من الآيات القرآنية التي تُمثل نماذج الحياة الكونية، وما بها من مظاهر الجمال والإبداع، لما يحويه هذا الكون من جمال ظاهر أو خفي، في الأرض والسماء، والجبال والبحار والأنهار، والنجوم والكواكب، والشمس والقمر، وغيرها من مخلوقات الله ومعجزاته؛ فالنص القرآني قد ((استفاد من المخزونات البصرية والمعرفية والعاطفية

---

(1) الآيـــة 28 سورة البقرة.

(2) الآيـــة 27 سورة غافر.

(3) الآيـــــة 41 سورة فاطر.

(4) الآيـــة 50 سورة إبراهيم.

(5) الآيـــة 64 سورة الزُمر.

الموروثة عند العرب وأعطاها حركة معرفية جـــديدة فأصبحـــت الإبـــل والليـــل والنـــجوم والأرض .. الخ .. مساحات تأمل وتفكّر في النسق المعرفي القرآني إلى الحقيقة المُطلقة، والمعرفة الكلية .. إلى معرفة الخالق في خلقه)) [1]، فكثيراً ما يؤثر الجمال في النفس البشرية ويرشدها إلى الصلاح وإلى التأمل والتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى، حيث يقـول الحـق تبـارك وتعالى : ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (22)﴾ [2].

في هذه الآيات السابقة، يطلب الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يعتبر وينظر ويتفكر ويتأمل فيما يرى حوله من منظر وصور. وأقـــرب شـــيء إلـــى البـــدوي العربي، راحلته – البعير – الذي سُميّ بسفينة الصحراء، وذلك لشدة صبرها على العطش، وهي تسير وسط الفيافي والقفار تحمل الأثقال المختلفة؛ حيث ينظر الإنسان إلى هذا الحيوان كيف خلقه الله بهذا الشكل العجيب، وما في الإبل من فوائد جمّة من ركوب وحرث ونتقل وأكل لحومها واستخدام جلودها وشرب ألبانها، وغيرها من المنافع الأخرى.

ثم ينظر الإنسان إلى السماء التي رفعها الله من غير عمد يراها الإنسان بالعين المجرّدة، ثم ينظر إلى الجبال الشامخات الراسيات فوق الأرض التي يعيش عليها هذا الإنسان ويستخرج من خيراتها الكثير والكثير، حيث ينظر إليها ويرى كيف مهدها الله سبحانه وتعالى وجعلها منبسطة واسعة حتى يستطيع الإنسان الاستقرار والعيش عليها؛ أي بمعنى ((كيف بُسِطَتْ وَمُدتْ ومُهِّدتْ، فنبّه البدوي على الاستدلال بما يُشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه،

---

(1) عبدالفتاح رواس قلعة جي – مدخل إلى علم الجمال الإسلامي – ط1 – دار قتيبة – بيروت، لبنان، دمشق سـورية – 1411هـ – 1991 م – صـ119.

(2) الآيـات 17 : 22 سـورة الغـاشية.

والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه)) [1].

وفي القرآن الكريم العديد من المشاهد الجمالية، المتناسقة مع الصور الفنية المستمدة من الطبيعة، من خلال ما يُشاهده الإنسان نفسه، كما في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)﴾ [2].

هذه صورة حيّة من البيئة العربية، فالعنكبوت غير محبوب، وشكله مُخيف، وبيته من أوهن وأضعف البيوت، هذا ما يعرفه العربي، بدوياً أو حضرياً؛ فالبيئة الطبيعية تعتبر عنصراً من عناصر التمايز الفني، حيث ((**إن علاقة الإنسان ببيئته أو المكان الذي يعيش فيه تجسد في أبسط صورها نموذجاً فردياً للانتماء إلى الطبيعة المألوفة لدينا، ويتمثل هذا في تطبعنا ببعض مظاهرها الهادئة أو الثائرة الباردة أو الدافئة، ولذلك يمكن أن نعدها مضموناً وجوهراً للفن، بالإضافة إلى كونها تعبيراً عن علاقة البشر بعضهم ببعض في المكان الذي يُصبح عندئذٍ جـزءاً من تلك العلاقة ... وهكذا فإن الطبيعة التي تنعكس على الوجود الإنساني في شتى جوانبه، تنعكس أيضاً على الفن الذي يصور مظاهر هذه البيئة ومميزاتها**)) [3].

ومن صور التناسق الجميل لخلق الله العزيز الحميد، أنه لم يخلق الكون وما فيه من كائنات في مقدمتها الإنسان، لعباً وعبثاً – حاش لله – لقد ((**خلق الله الإنسان وله مهمة كبرى في الكون، ولذلك كانت هناك عناية من الخالق بالإنسان، عناية ملحوظة في كل خطوة من خطوات حياته.** يدل عليها قول الحق تعالى : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾ [4]، وتتجلّى عناية الله تعالى بالإنسان في هذا اللفظ الذي يحتمل العناية والحفظ، كما يحتمل الرقابة الدقيقة على أعمال

---

(1) ابـن كثـير – تفسـير القـرآن الكـريم – تحقـيق حـامد أحمد الطاهر – مرجع سابق – صـ735، 736.

(2) الآية 41 سورة العنكبوت.

(3) عبدالكـريم هـلال – الاغـتراب فـي الفـن – مرجـع سـابق – صـ 82 . 83.

(4) الآيـة 4 سـورة الطـارق.

الإنسان. الأمر الذي يدل بالفعل على قيمة الإنسان، وقيمة المهمة التي نيطت به من قبل المولى العظيم)) [1].

إذن هناك قصد وغاية عظيمة وجليلة من خلق الإنسان، والسلامة من العبث تعني ((وجود باعث وغاية للموضوع وهو القصد)) [2].

ومن يتمعن في القرآن الكريم، يجد هذا في كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (16)﴾ [3]، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ...﴾ [4]، وفي قوله عز وجل : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)﴾ [5].

إذن خلق السموات والأرض ليس عبثاً ولا لعباً، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم، بل لحكمة يعلمها الله وحده سبحانه جل وعلا علواً كبيراً. ولكن سمة القصد من هذا الخلق، واضحة جلية يُمكن أن يراها من له حس مرهف، ولب واع، من الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض وما يوجد من آيات كونية تزيد المؤمن إيماناً، والكافر جحوداً ونُكراناً. فيقول المولى عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾ [6].

---

(1) محمد متولي الشعراوي – عقيدة المسلم – مرجع سابق – صـ116.

(2) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ 260.

(3) الآيـــة 16 ســـــورة الأنبياء.

(4) مـــن الآيـة 26 ســـــورة ص.

(5) الآيـــة 3 ســـــورة التغـــابن.

(6) الآيات 189 : 191 سورة آل عمران.

من هذه الآيات الكريمة، نعلم أن المُلك لله الواحد القهار، وهو على كل شيء قدير ومهيمن، وأن في خلق السموات والأرض وما بينهما، وكذلك اختلاف الليل والنهار، كلها آيات لأولي العقول والألباب الذين هم دائماً يتفكرون في خلق السموات والأرض. **((إنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض. فهداهم تفكيرهم إلى الوقوف على الحكمة والقصد في هذا الخلق فارتفعت أصواتهم (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك).**

والإنسان لم يخلق عبثاً فمطلوب (منه) [1] أن لا يعيش عبثاً. إنه ينبغي له أن يعقل غاية وجوده ويكون علمه في ضوء هذه الغاية، وأن يكون له (باعث) [2] وغاية)) [3].

لقد خلق الله الإنسان وكلّفه بأعمال، فله حقوق وعليه واجبات، وأن جميع المخلوقات تسجد لله الواحد القهار. والإنسان المخلوق الوحيد الذي انقسم في هذه الطاعة لله. ألا وهي **(السجود)**.

هذا الإنسان الذي كرّمه الله وميّزه بالعقل على سائر المخلوقات، بل جعلها تسجد له وهي دائماً في خدمته، فمن الملاحظ أن الوجود كله يسير بنظام أوتوماتيكي إلا الإنسان. فإننا نرى **((الجماد والنبات، والحيوان، كلها تسير في نظامها المخلوقة له، وتؤديه كما ينبغي، فهل يؤدي الإنسان نظامه أيضاً كما ينبغي ؟ لا، بل هو الوحيد الذي تمرّد))** [4].

وحين عرض هذه المسألة، يقول المولى عز وجل في الإنسان : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)﴾** [5].

ألم تر يا أيها الإنسان أن جميع المخلوقات من سماوات وأرض، وشمس وقمر، ونجوم وجبال وأشجار ودواب، وغيرها من المخلوقات. تسجد لله ربّ العالمين، لم يكن فيها انقسام. بل

---

(1) في الأصل (فيه) وهو خطأ مطبعي.

(2) في الأصل (باحث) وهو خطأ مطبعي.

(3) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ 260،261.

(4) محمد متولي الشعراوي – عقيدة المسلم – مرجع سابق – صـ48.

(5) الآية 18 سورة الحج.

كلّها تسجد لله دون استثناء، إلا هذا الإنسان فحينما ذكر الله الناس في الآية الكريمة قال : (وكثير من الناس)؛ أي بمعنى كثيرٌ من الناس يسجد لله، وكثير حق عليه العذاب لعدم السجود وعدم طاعة الله – كما فعل إبليس – في عدم سجوده لآدم مخالفاً بذلك أمر الله سبحانه وتعالى [1].

لقد تحمّل الإنسان مسئولية الأمانة، التي عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والجبال فامتنعن عن حملها وأشفقن من حمل هذه التكاليف، وخفن من الخيانة فيها، فقد قال رب العزة في هذا الموقف : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72)﴾ [2].

إن الله تعالى عرض الفرائض والتكاليف الشرعية، وهي (الأمانة)، على السموات والأرض والجبال الراسيات على الأرض، فأعرضن عنها وأبين أن يتحملنها لشدة ثقلها. والغرض من التصوير هنا، هو ثقل هذه المسئولية وعظمها والخوف من حملها والهروب منها، والمراد بقوله تعالى : (أَبَيْنَ)، ليس مخالفة أمر ربها وعصيانه، ولكن المراد الخوف والخشية من ثقل هذه الأمانة، لأن العرض هنا كان تخييراً وليس إلزاماً وإجباراً، وتحملها هذا الإنسان الذي كان شديد الظلم لنفسه جاهلاً لعاقبة الأمور [3].

ولقد أصاب هذا الإنسان الغرور، حيث اغتر بعقله الذي يعتبر منطقة التميز عن سائر الكائنات والمخلوقات، في هذا الكون؛ فهو ((صورة لا تتكرر ولعل أكبر دليل على ذلك، صور وتماثيل الملوك التي تركوها في الأرض وماتوا منذ مئات السنين، فأنت تستطيع أن تُميّز صورة رمسيس وكليوبترا ونابليون وغيرهم عن بقية الأحياء. رغم أنهم ماتوا ورحلوا عن هذا العالم فالإنسان قائم بذاته لا يتكرر رغم تكرار الخلق ليكون الحساب في الآخرة حيث يُعرف الناس بصورهم، وهذا التميّز الدقيق المُعجز لا يمكن أن يأتي من خلق نشأ بالارتقاء أو بالصدفة، ولكنه

---

(1) ينظر : محمد متولي الشعراوي – عقيدة المسلم – مرجع سابق – صـ 49،48.

(2) الآية 72 سورة الأحزاب.

(3) ينظر : محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ2 – مرجع سابق – صـ539، 540.

إعجاز الله وقدرته وآياته التي وضعها في الإنسان)) [1]. وهذا يؤكده قول الله سبحانه وتعالى : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾** [2]، وها هي الأحداث تتوالى على العالم اليوم، فما نراه عبر الفضائيات من أخبار غريبة وعجيبة. ومن اكتشافات علمية إلا دليل على أن المدبر لهذا الكون واحد لا شريك له. ويقول الحق تبارك في آية أخرى : **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ (21)﴾** [3]، أي في الأرض التي تعيشون عليها دلائل وعلامات تدل على عظمة الله وقدرته بما فيها من أنواع وأشكال النباتات

والحيوانات. **وما في أنفسكم** من عبر وعظات وآيات عن بداية الخلق ونهايته. فجدير بهذا الإنسان أن يدرك بعقله وأن يُبصر قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه ليعرف قدرة الله تعالى على البعث. والله يريد هنا **((اختلاف الصور، والألسنة، والألوان، والطبائع، والسمع والبصر والعقل، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم))** [4].

ولقد استخرج العلماء من القرآن الكريم نظريات تُشير إلى مستحدثات الاختراع. وما يُحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية، ومن ذلك : **((طريقة التصوير الشمسي بإمساك الظل، وهي في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45)﴾** [5]. **فتأمل قوله : (ثم جعلنا الشمس) فإن هذه الحروف تكاد تنطق بأن هذا الأمر سيكون لا محالة.**

---

(1) محمد متولي الشعراوي – عقيدة المسلم – مرجع سابق – صـ164، 165.

(2) الآيـــة 52 ســـورة فُصلت.

(3) الآية 20، 21 سورة الذاريات.

(4) محمـــد علـــي الصـــابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – صـ252، 253.

(5) الآيـــة 45 سورة الفُرقان.

ومنها كشفهم أن مادة الكون هي الأثير، والله تعالى يقول في بدء الخلق : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [1]. ومنها حققوه من أن الأرض انفتقت من النظـــام الشمسي. والله تعالى يقـول فـــي السمـــاوات والأرض : ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [2]. ومنها ثبوت أنه لولا الجبال لاضـطربت دورة الأرض؛ وذلك لقوله تعالى : ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [3]. ومنها تحقيق أن كل شيء حي فهو من الماء، وأن للجماد حياة قائمة بماء التبلور. وذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [4]. ومنها ما كشفوه من تلاقح النبات وأنه أزواج، والله تعالى يقول : ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (52)﴾ [5]. ويقول : ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [6]؛ وقد أشار القرآن إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها على ما وصفناه آنفاً. وذلك قوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (52)﴾ [7]؛ ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها عن قوله تعالى : (في الآفاق وفي أنفسهم). هذه آفاقٌ وهذه آفاقٌ أخرى، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصـــح فـــي الأفهام شيء)) [8].

وفي ختام هذا المبحث هذه مجموعة من الصُّور والمشاهد الفنية والمناظر الجمالية في آيات قرآنية مصوَّرة، وهي من مشاهد الطبيعة الصامتة والمتحركة في الأرض والسماء وفي الجو،

---

(1) من الآية 10 سورة فصلت.
(2) من الآية 30 سورة الأنبياء.
(3) من الآيـــة 15 سورة النحل.
(4) من الآية 30 سورة الأنبياء.
(5) من الآيـــة 52 سورة طـــه.
(6) من الآيـــة 03 سورة الرعد.
(7) من الآيـــة 52 سورة فصلت.
(8) مصطفى صادق الرافعي – إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية – مرجع سابق – صـــ127، 128.

وكثير من هذه المناظر والمشاهد يَمُرّ بها الناس وهم غافلين عنها، وبالرغم من أنها مشاهد دائمة متكررة ومتجددة، ومن بين هذه المشاهد والمناظر ما يأتي :

– **الصُّورة الأولى /** وهي صورة من مشاهد الطبيعة الصامتة، ذات المعاني الملفتة للأنظار، فهذه اللوحة أو الصُّورة من المشاهد المعروضة في الأرض والسماء، فتأمل قول الباري عَزّ وَجلّ إذ يقول : ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)**﴾ [1]، هذا مشهد قديم جديد فهذه القطع المتجاورة في الأرض والمتقاربة ومتنوعة منها السباخ (الأرض المالحة) التي لا تنبت شيئاً، والعذبة الطيّبة ذات التربة الخصبة والنبات المختلف الألوان والأشكال بل إن النوع الواحد من النبات يأتي بثمارٍ مختلفة اللون والطعم، مع أنها تُسقى من ماءٍ واحد، وقيل أنها مثل بني آدم، أبوهم واحد، ومنهم الصالح والطالح، ومنهم الشكور ومنهم الكفور [2].

– **الصورة الثانية /** وهي مشهد طبيعي صامت، وهي لوحة طبيعية فنية متناسقة، معروضة يراها الإنسان في كل وقت وحين، وهذه المشاهد دليلٌ على قدرة الله وبديع صنعه سبحانه وتعالى، ففي قوله تعالى : ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5)**﴾ [3].

– **الصورة الثالثة /** هي مشهد آخر من مشاهد الطبيعة في الأرض، ومنظر متكرر يمر عليه الناس غافلين عن تتبع حركته البطيئة، اللطيفة التي رسمتها يد القدرة الإلهية متمثلة في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ**

---

(1) الآيـــــة (4) ســـــــورة الرعـــــــد.

(2) المصحف المفسّر الميسّر – مختصر تفسير الطبري – طبعة خاصة لإذاعة القرآن الكريم، بالجماهيرية العظمى – مطابع الشروق – 1401 هـ – 1981 م – صـ275.

(3) الآيـــــات 3 : 5 ســـــــورة المُـــــلك.

إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46)﴾ [1]: فالتأمل في هذا المشهد الطبيعي المألوف والمتجدد في كل يوم، يجد مساحة رحبة للتخيل والتدبر في ملكوت الله جلت قدرته. حيث مد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولو شاء الله لجعله دائماً لا يزول ولا يتحرك. ولا تنقصه الشمس ولا تُذهبه، ولكن الله قد بيّن للإنسان أن هذا الظل خلق من خلقه يوجده وقت يشاء ويذهبه ويفنيه إذا شاء وأراد، ثم يأتي بالشمس فينقصه بها ويقبضه قبضاً خفيفاً وسهلاً [2].

- **الصورة الرابعة** / وهي صورة لمشاهد أخرى في الأرض، وما أحسنها وأجملها من مناظر قرآنية إيمانية، تؤثر في نفس الإنسان وتدفعه للتدبر والتأمل، وتوجه نظرة لأخذ العظة والعبرة من مصير الأمم السابقة ذات مناظر متباينة، وألوان متعددة تراها العين في الظاهر، وتتأملها النفس المؤمنة في الباطن. يقول العزيز الجبار : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9)﴾ [3].

- **الصورة الخامسة** / هذا المشيد من الأرض وهو متعدد الخطوات، معروض على الإنسان في عدة صُور، وعلى عدة مراحل، على مهل ودون سرعة، حيث يبدأ بنزول الماء من السماء ودخوله في عيون ومجاري في الأرض، وبعد ذلك بفترة يخرج الزرع المختلف الألوان والأشكال ويستمر في النمو حتى ينضج ثم يصفَر لونه، ثم يصبح يابساً ويصير حُطاماً.

انظر هنا إلى هذه المراحل الزمنية التي مرت، منذ نزول الماء من السماء، حتى خروج الزرع ونضوجه وبعد ذلك يُصبح حُطاماً لا فائدة منه. أنظر إلى (ثم) وهي تفيد (المهلة) والتراجي والترتيب، فقد جاءت للربط بين اللوحات والمشاهد الملفتة للنظر. يقول الحق تبارك وتعالى :

---

(1) الآيتان 45، 46 سورة الفرقان.

(2) المصحف المفسّر الميسّر – مختصر تفسير الطبري – طبعة خاصة بإذاعة القرآن الكريم، بالجماهيرية العظمى – مرجع سابق – صـــــ408.

(3) الآيـــة 9 ســـورة الـــروم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21)﴾ [1].

ويختم الله قوله في هذه الآية بأنها تذكرة وموعظة لأهل العقول.

– **الصورة السادسة** / وهي صُورة طبيعية، ومنظر من مناظر الطبيعة المتحركة في الجو يعرضها علينا رب العزة، خطوة خُطوة في مشاهد جمالية متتابعة ولوحات فنية بديعة من صُنع الله، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49)﴾ [2]؛ هكذا لوحة بعد لوحة، ومشهد إثر مشهد، فبعد أن يرسل الله الرياح برحمته حيث تنشر السحاب وتثيره، فيجمعه الله بقدرته ويجعله قطعاً فنشاهد المطر يخرج من بين السحاب ومن وسطه، فيصيب به الله من يشاء من عباده، فإذا هم يستبشرون ويفرحون برحمة الله التي أصابتهم بعد أن كانوا آيسين مكتئبين حزينين باحتباس المطر عنهم [3].

– **الصورة السابعة** / وهي من المشاهد الجميلة في الجو أيضاً، ولوحة من اللوحات الفنية المتكررة، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19)﴾ [4]؛ هذه الطيور بأنواعها وهي تُحلّق في الجو باسطة أجنحتها وأقدامها وقابضة لها، من يُمسكها في الجو سوى الله سبحانه وتعالى، وهذا توجيه للإنسان لكي يستدل على قدرة الله وقوته. وهذه المشاهد والمناظر صورة حية متحركة واقعية متكررة يراها الإنسان في كل لحظة [5].

---

(1) الآيـــة 21 ســورة الزمر.

(2) الآية 48، 49 سورة الروم.

(3) المصحف المفسّر الميسّر – مختصر تفسير الطبري – طبعة خاصة لإذاعة القرآن الكريم. بالجماهيرية العظمى – مرجع سابق – صـــ460، 461.

(4) الآيـة 19 ســورة المـــلك.

(5) جـــلال الـــدين محمد، جـــلال الـــدين الســـيوطي – تفســـير الجـــلالين – مرجـــع ســـابق – صـــ545.

الفصـــــــــل الرابـــــع

صُور ومشاهد فنية قرآنية.

(ج)

مشاهد الجمال في الجَنّة.

للجمال أثر كبير على النفس، وذلك من خلال سلطانه الواسع على النفس البشرية، كما أنه له أثر فاعل وكبير في قيادة هذه النفس والأخذ بيدها نحو الرشاد.

ويُعدّ الجمال وسيلة اختبار وامتحان للإنسان، ليس في ميدان واحد فقط، بل في عدة ميادين.

فالزينة والجمال قد تكون سبباً في انزلاق النفس إلى الهاوية – كما حدث مع (قارون) (*)، الذي أتاه الله سعة في الرزق والثراء والنعمة الكثيرة، حتى أنّ مفاتيح خزائنه المملوءة بالأموال والجواهر لا يستطيع حملها مجموعة من الرجال الأقوياء، ولكن قارون تكبّر وظلم قومه، وكان محسوداً على هذه النعمة من بعض أبناء قومه، فكل من رأى هذا الرجل وهو يتبختر في ((**زينته وأبهته يتمنى أن يرزق مثل ما رُزق من الحظ في الدنيا ويستعظمون ذلك أيما استعظام !**

كان أولو البصائر من قوم قارون يعظونه ويبذلون له النصح ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من الخيلاء والزهو. ويُشيرون عليه بالابتعاد عن سوء مجاورة نعمة الله بالإفساد في الأرض، ويحضونه على أن يبتغي فيما أتاه الله الدار الآخرة ولا ينس نصيبه من الدنيا، بأن يظهر عليه أثر معرفة نعمة الله بالإحسان إلى الفقراء من عباد الله)) (1).

لقد صوّر لنا القرآن الكريم أحداث هذه القصة كاملة بفصولها ومشاهدها، تصويراً في تناسق وإبداع؛ فعندما تقرأ هذه القصة من القرآن الكريم، تجد نفسك وكأنك أمام شريط سينمائي له بداية، وعقدة أو ذروة، نهاية أو حل.

لقد اعتمد الشيطان الرجيم على الزينة في إغواء بني آدم، حيث يُزيّن لهم القُبح فيراه الناس حسناً جميلاً. فقد تم تحديد الساحة وهي الأرض، وحدّد إبليس عُدته فوق هذه الأرض وهي التزيّن لإغواء العباد الذين يتبعون الشهوات، وذلك عندما يُصبح العمل القبيح، حسناً جميلاً. يقول الحق

(*) قارون : رجل من بني إسرائيل من قوم موسى الفقه – وقد وردت قصته كاملة في القرآن الكريم، ابتداءً من الآية 76 إلى الآية 82 في سورة القصص.

(1) عبدالوهاب النجار – قصـــص الأنبياء – مرجع سابق – صـــ281 : 283.

تبارك وتعالى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)﴾ [1].

هذا تزييف للحقائق وتزيين للشر والقُبح، حيث يجعله الشيطان في ثوب الحُسن والجمال فتضلّ به النفوس الضعيفة التي سرعان ما تنحدر في مستنقع الكفر والرذيلة.

وبما أن للحُسن والجمال سُلطان على النفس البشرية، فقد جعله الله سبحانه وتعالى جزاء للعمل الصالح، حيث يكون الجمال هو العنصر الأساسي والبارز في مسألة الثواب والجزاء الحسن في جنة النعيم التي أعدّها الله لعباده المتقين، فقد تم التركيز على حاسة البصر، وذلك لأن البصر هو الوسيلة لاستشعار هذا النوع وهذا الصنف من النعيم، وتأكيد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (73)﴾ [2]، أي بمعنى أن الله وعد المؤمنين على إيمانهم وتصديقهم لنبيّه الكريم، جنات عظيمة الظلال تجري من تحت أشجارها الأنهار، وهم لابثون فيها أبداً، لا يزول عنهم هذا النعيم، ولهم منازل ومساكن وقصور في الجنة من اللؤلؤ والياقوت والمرجان، فقد رضي الله عنهم [3].

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (31)﴾ [4]، ويقول الحق تبارك وتعالى أيضاً : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(1) الآيتان 39، 40 سورة الحجر.

(2) الآيـــة 73 ســـورة التوبة.

(3) محمـــد علـــي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ1 – مرجع سابق – صـ548.

(4) الآيتـــان 30، 31 سورة الكهف.

الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيـــهَا حَـــرِيرٌ (23)﴾ [1].

إن الله تعالى لا يُضيع عمل المؤمن الصالح، بل يزيده وينمّيه وتكون المكافأة الجنة وما فيها من نعيم وما فيها من مناظر حسنة جميلة، أنهار قصور ولباس من حرير ولؤلؤ وذهب متكئين على السرر الذهبية المزينة بالثياب والستور، المكللة بالدُّرر والياقوت، جزاء على أعمالهم الحسنة في الدنيا [2].

وهذه المناظر التي يشاهدها المؤمن في الجنة ما هي إلاّ قليل من كثير من نعم الله سبحانه وتعالى التي لا تفنى أبداً ولا تنقطع، بل هي مستمرة دائمة فحين ((**تنتقل العين عبر هذه المشاهد من جمال إلى جمال الجنات التي التفت أشجارها وتلاقت أغصانها والمياه المنسابة الرقراقة والحُلي الملونة والأنبسة الحريرية تتناسب مع الجو العام. إنها مشاهد تحار العين على أيّها تستقر**)) [3].

ثم تنتقل إلى مشهد جمالي آخر من مشاهد الجنة التي لا تنتهي أبداً. فكلما فرغنا من مشهد بديع نقرأ في سورة أخرى آيات تصور لنا روعة تلك المناظر الخلابة والجميلة التي أعدها الله للمؤمنين الصادقين، ومن تلك الآيات التي تجسد لنا هذا المشهد الرائع قول الحق تبارك وتعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71)﴾ [4]، ويقول في آية أخرى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ (15)﴾ [5].

---

(1) الآيـــة 21 ســـــــــورة الحج.

(2) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ2 – مرجع سابق – صـ190، 191.

(3) مصطـــفى عبـــده – المـــدخل إلـــى فلســـفة الجمال – مرجع سابق – صـــ249.

(4) الآيات 69 : 71 سورة الزخرف.

(5) الآيـــــة 15 ســـورة الإنسان.

إن مشاهد الجنة ونعيمها كثيرة ومتعددة في القرآن الكريم، ففي الجنة كل ما تشتهيه النفس وتلّذ الأعين بالنظر إليه من فنون المناظر الجميلة والمشاهد البديعة اللطيفة الزاهية [1].

ويُمكن أن نعيش مع أحد هذه المشاهد الجمالية كما صورها لنا القرآن الكريم، والتي تناولت بشيء من التفصيل هذه المناظر الفنية والمشاهد الجمالية والحياة الترفيهية التي يعيشها سُكان الجنة في سعادة أبدية وراحة تامة، ففي هذه الآيات القرآنية تصويرٌ كاملٌ ودقيق، حيث يقول جل من قائل : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (5) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (12) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيراً (15) قَوَارِيراً مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (17) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (20) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً (22) ﴾ [2].

إن الآيات السابقة تصور وتُجسّد لنا مشهداً عظيماً من مشاهد الجنة الجميلة وما فيها من جمال المنظر وتلك الظلال الوارفة التي تزيد في روعة وجلال وبهجة هذه الصور والمشاهد الحسنة البهية، (وفي الآية إيجاز، آخذ بأطراف الإعجاز، فقد أشار تعالى بقوله (جنة) إلى ما يتمتع به أولئك الأبرار في دار الكرامة من أصناف الفواكه والثمار، والمطاعم والمشارب الهنية فإن الجنة لا تُسمى جنة إلاّ وفيها كل أسباب الراحة كما قال تعالى : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ

(1) محمد علـــي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـــ164. 165.

(2) الآيات 5 : 22 سورة الإنسان.

وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ (*). وأشار بقوله (حريراً) إلى ما يتمتعون به من أنواع الزّينة واللباس، التي من أنفسها وأغلاها عند العرب الحرير، فقد جمع لهم أنواع الطعام والشراب واللباس، وهو بعض ما تتطلع له نفوس الناس)) (1). ويتمتع المؤمن في الجنة بالراحة التامة والاستجمام، واللباس في الجنة أثواب حريرية مزركشة ومطرّزة بالياقوت. ويشرب أهل الجنة في آنية من فضة وصحاف من ذهب، ويأكلون ما لذّ وطاب بغير حساب ولا يشعرون بالحر ولا بالبرد، وذلك لأن هواء الجنة نسمات تهب من العرش تُحيي الأنفاس (2).

ويوجد في الجنة غلمان مخلدون خلقهم الله لخدمة أهل الجنة، وهم في سن واحدة لا يتغيرون ولا يهرمون ولهم جمال وضّاح كأنه لؤلؤ منثور. وذلك ((لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر، لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع)) (3).

وهذه الأنية والقوارير الفضية التي يشرب فيها أهل الجنة هي : ((قوارير من فضة شفافة، فهي في مادتها فضة وفي شفافيتها زجاجية، إنه الجمال المعجز. وهكذا نجد أن النصوص القرآنية تهتم بعرض الجمال لما له من أثر عميق في النفس)) (4)، ثم إن هذه الإيحاءات التي تبعثها الكلمات القرآنية، إنما تصور لنا مشهد مُجسّم لنعيم الجنة، وصورة حيّة في بثّ مباشر لمجرى الأحداث؛ فهي ليست غريبة عن الأحداث التي تصورها لنا، بل هي من صميمها، ويمكن القول بأنها هي المحركة لها في مشهد بديع رائع، ((إنه مشهد يشع الجمال من أرجائه ويبدو كذلك في كل جزئية من جزئياته وهو يؤدي دوره في أداء المتاع حقه من الوصف والإيضاح وهكذا يلتقي المتاع والجمال، وهي سمة واضحة في كل نعيم الآخرة)) (5).

(*) من الآية 71 سورة الزّخرف.

(2) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ493.

(2) المرجع السابق – صـ494.

(3) المرجع السابق – صـ495.

(4) مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ251.

(5) صالح الشامي – الظاهرة الجمالية – صـ63 – نقلاً عن : مصطفى عبده – المدخل إلى فلسفة الجمال – مرجع سابق – صـ250.

الحُسن والجمال والإحساس بهما أمر فطري في نفس الإنسان، فالنفس البشرية لُغزٌ مُحيّر في حد ذاتها على صاحبها، فهذه النفس يوجد فيها الكثير من الملكات التي لم يكشف عنها الله تعالى للإنسان حتى هذا الوقت، فالإنسان نفسه في كثير من الأحيان لا يفهم نفسه، ولا يصل إلى أسرارها وأعماقها، وكذلك السلوك البشري كالنفس البشرية ما زال لُغزاً مُحيراً أمام الباحثين.

ولكن هذه النفس التي لا نستطيع أن نفهمها ونصل إلى كُنهها؛ توجد فيها فطرة نشعر بها ونحس بها جميعاً، ألا وهي الصلة بين هذه النفس البشرية وبين خالقها سبحانه وتعالى، رغم اختلاف بني البشر، في الثقافة والفهم، بحيث لا يُمكن لهذه الفئات أن تشترك في فهم واستيعاب شيء واحد، ولكنهم كُلهم – رغم اختلافهم – يشتركون جميعاً في فهم كلمة (الله) [1]؛ مع العلم بأن كلمة (الله)، لها دلالات مختلفة متباينة عند كثير من الناس، فمنهم من اعتبر الإنسان هو (الله)، ومنهم من قال : القيصر هو (الله) ومنهم من قال : المسيح هو (الله) ومنهم من قال : عزير هو (الله) ... الخ.

والنفس البشرية بطبيعتها ميّالة للجمال والحُسن والبهاء، وفي كثير من الآيات القرآنية نجد ما يُلبّي حاجات الإنسان سواء كانت ضرورية أم جمالية، ففي قوله تعالى : ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (19)**﴾ [2]. ويقول سبحانه وتعالى وقوله الحق : ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)**﴾ [3]، أي بمعنى أن كل شيء في هذه الدنيا هو متاع وزينة في هذه الحياة الدنيوية، هو متاع زائل لا محالة، وما يبقى إلا الخير الذي أعده الله سبحانه وتعالى لعباده في الآخرة؛ فالذي عند الله دائم وباق، وذلك مصداقاً

---

(1) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع السابق – صـ165، 166.

(4) الآيـــة 19 ســـورة الـــرعد.

(5) الآيـــة 60 ســـورة القصـــص.

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (72) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (73) ﴾ [1]، يقول الحق تبارك وتعالى لعباده الذين أمنوا ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم مسرورين فرحين ومبتهجين بما تشاهدون من ألوان وأصناف النعيم الدائم في الجنة، فكل ما تشتهيه النفوس من أنواع اللذائذ والمشتهيات، وتُسرُّ به الأعين من فنون المناظر الجميلة، والمشاهد اللطيفة [2].

وخاتمة هذا البحث، صورة جمالية من مشاهد الجنة الواردة في آي الذكر الحكيم، وهي قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)﴾ [3].

صدق الله العظيم

(1) الآيـــات 68 : 73 سورة الزخرف.

(2) ينظر : محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – جـ3 – مرجع سابق – صـ165.

(3) الآيـات 73 : 75 سورة الزمر.

الخـــاتِمة

من خلال عرض الموضوع ودراسته، تبيّن أن هذه الدراسة، قد جاءت في مُقدمة، وفصول أربعة، وكانت على النحو التالي :

- الفصل الأول : مفاهيم عامة.

بدأ الباحث بتمهيد للموضوع بعنوان الإسلام دين الفن والجمال، ثم تناول دراسة عدة مفاهيم، من بينها، مفهوم الصورة الفنية، ومفهوم الجمال بصفةٍ عامة، ومفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية، وأهم أعلامها، وآراؤهم في الجمال خاصةً.

- الفصل الثاني : الجمال في المنظور الإسلامي

حيث بدأ الباحث دراسته بتوضيح لمعنى الفلسفة الإسلامية، ثم تناولت الدراسة الجمال في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي من خلال أراء أبرز الفلاسفة المسلمين في هذا الموضوع، كما تناولت الدراسة المشاهد الجمالية وأثرها على النفس البشرية.

- الفصل الثالث : جماليات بلاغية وفنية في القرآن الكريم.

وتم فيه دراسة وتحليل الأسلوب القرآني، وجماليات التصوير بالاستعارة، كما تطرق الباحث لجماليات الموسيقا في فواصل الآيات القرآنية.

- الفصل الرابع : صور ومشاهد فنية قرآنية.

وفي هذا الفصل بدأت الدراسة بتعريف سمات الجمال القرآني، ثم التناسق الفني البديع للمشاهد الجمالية والفنية في الكون والإنسان، وكذلك مشاهد الجمال في الجنة، وما فيها من صنوف النعيم وما فيها من مناظر جذابة تسحر الألباب، وما أعده الله سبحانه وتعالى من نعيم لعباده المتقين.

واختتمت الدراسة بمجموعة من الصور والمشاهد القرآنية التي توضح مشاهد الطبيعة الصامتة والمتحركة في الأرض والسماء، كما وردت في القرآن الكريم.

لقد كانت غاية البحث عرض وتحليل الصور الجمالية، والمشاهد الفنية في القرآن الكريم، حيث كانت هذه الغاية أشبه بالمغامرة، خاصة عندما كان مجال الدراسة التحليلية، النص القرآني

الحكيم بأبنيته المختلفة الأسلوبية منها والبلاغية، وخصائصه الجمالية وسماته المميزة له عما سواه من نصوص أدبية.

ومن خلال عرض موضوع الدراسة، فقد خلُصَ البحث إلى جملة من النتائج العامة والأفكار، نوجز أهمها على النحو التالي :

- يفجّر النص القرآني الطاقات الإيحائية والدلالية للمتلقي، ويدفعه دائماً إلى التمعن في الأسلوب الجمالي والبلاغي للقرآن الكريم، رغبةً منه في استجلاء مزيد من خصائصه الجمالية والإبداعية.
- تفنن الخطاب القرآني، وأبدع الأسلوب البلاغي للقرآن الكريم في جذب المتلقي، وتوجيه انتباهه إلى ما في هذا النص الحكيم من إبداعات وإيحاءات فنية جميلة، فهو – أي النص القرآني – موجّه في الأساس للمتلقي، وأن وظيفته الرئيسية هي مفاجأته، والتأثير فيه تأثيراً قد يؤدي به إلى المتعة، أو الرهبة، أو إلى مزيد من الإحساس بالأشياء، أو قد يؤدي به إلى الشعور بالعجز والقصور، كما هو حال العرب – وهم أهل الفصاحة والبيان – حين عجزوا عن مقارعة أسلوب القرآن الكريم أو مضاهاته.
- الإسلام دين الفن والجمال، والفن قيمة من القيم التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، حيث أن هُناك خاصية يتميز بها الفن، فهو نوع من النشاط الإبداعي والأخلاقي عند الإنسان، منبعثاً من الطاقة الروحية للفرد، ووسيلة للتعبير عن شخصية المجتمع وحضارته، وسماته، واتجاهاته المختلفة.
- التوفيق بين الدرس الجمالي الفني، والدرس البلاغي الجمالي، من خلال ربط تراثنا البلاغي الأصيل، بالدراسات الجمالية والأسلوبية الحديثة، والتركيز على نقاط الالتقاء بينهما، والتي من أبرزها وأهمها : (الصورة الجمالية والفنية)، وتجلية الخصائص الفنية التي امتاز بها الأسلوب القرآني، خاصة في جانب التصوير بالاستعارة.
- طواعية النص القرآني، وقابليته لأن يكون مجالاً خصباً يستوعب كافة الدراسات الجمالية والفنية، قديمها وحديثها.
- الجمال ليس لمجرد الزينة، كما إنه ليس شكلاً مادياً فحسب، ولكنه بالمعنى الصحيح، حقيقة مركبة في مداخلها وعناصرها وتأثيراتها المادية والروحية.

وشاءت قدرة المُبدع – سبحانه وتعالى – أن يجعل من الجمال في شتى صُوره، راحة وسعادة للإنسان، أينما كان. وأن استساغة الجمال حق مُشاع، مهما اختلفت مقاييسه، من فرد إلى آخر، ومن عصر إلى عصر. ولكنه اختلاف محدود قد يمس جانباً من الجوانب، أو عنصراً من العناصر التي تُشكل القيمة الجمالية والفلسفية.

- يُمكننا القول بأن الجمال وسماته في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي، والفن الإسلامي، قبل أن يكون، هذه الصورة الجمالية، أو هذا المشهد الفني، أو ذلك المصور المنقوش، أو ذاك البناء المشيّد هدفاً في ذاته، هو جوهر وروح، وهو فلسفة وفكر، هو قيمة شكلية جمالية، وروحية، وقيمة فكرية فلسفية فنية، بل هو كل هذه القيم الإنسانية مجتمعة في ذات الوقت.
- للجمال أثر كبير على الإنسان. فآيات القرآن الكريم الموزونة، وتناسق الألوان الزاهية، وتناسب الأشياء في هذا الكون الفسيح، وما يحويه من كائنات ومخلوقات، كل هذه الأشياء لها تأثيرها على النفس البشرية.
- الله جميل يحب الجمال، فلقد امتن سبحانه وتعالى، على الإنسان بكل منظر جميل، ومظهر بديع، وحثّ المؤمنين على الزّينة والجمال، والنظر إلى كل ما هو جميل ومُباح، حتى تسمو بذلك نفوسهم، وترتقي لِفهم وإدراك العديد من المعاني الجمالية الجليلة، ويفوزوا بالاستمتاع ولذة الجمال في الجنة، وما فيها من مظاهر الجمال المختلفة.

وبعد .. فنأمل أن تُسهم هذه الدراسة في تنمية الدراسات الفنية والجمالية للقرآن الكريم.

ولا أزعم أنني قد بلغت الغاية أو حققت المُراد، ولكن حسبي من هذه الدراسة أن تكون خطوة تُضاف إلى ما سبقها وما سيلحقها من خطوات في طريق العلم والمعرفة. وإنني أسأل الله أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي أخطائي وزلاتي، ويزيدني من علمه، إنه نعم المولى ونعم النصير. ويعلم الله أنني قد قصدت الخير، وأخلصت النيّة، فإن وُفقت فمن الله، وإلاّ فلا ألومنّ إلا نفسي.

ولله الحمد والمِنّة، هو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ به، له الأمر من قبل ومن بعد، هو ولي التوفيق والقادر عليه.

2010/03/10 ف

قائمة بالمصادر والمراجع

1. القرءان الكريم : بما يوافق رواية حفص عن عاصم – بالرسم الإملائي العادي الحديث عن طريق النسخ واللصق من برنامج القرآن الكريم لشركة حرف، الإصدار (7.01).
2. القرآن الكريم المفسَّر الميسَّر – مختصر تفسير الإمام الطبري – طبعة خاصة لإذاعة القرآن الكريم بالجماهيرية العظمى – مطابع الشروق – 1401 هـ – 1981 م.
3. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبدالباقي – ط. الثانية – دار الفكر للطباعة والتوزيع – 1401 هـ – 1981 م.
4. ابن خلدون : المقدمة – ط1 (بيروت، لبنان – دار الكتب العلمية – 1413 هـ – 1993م).
5. ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور : لسان العرب، مج 12، د. ط، (بيروت، دار صادر، د ت).
6. أبوحامد الغزالي : إحياء علوم الدين – د. ط5 أجزاء، (بيروت، لبنان – دار المعرفة – د.ت).
7. أحمد عمر أبوشوفة : المعجزة القرآنية – ط1 (بنغازي – دار الكتب الوطنية – 2003 ف).
8. أ. س. رايويرت : مبادئ الفلسفة – ترجمة، أحمد أمين – ط8 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية – د. ت).
9. جلال الدين السيوطي، جلال الدين محمد : تفسير الجلالين، ط10 (القاهرة، مكتبة الصفا – 1422 هـ – 2002 ف).
10. جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن – ب. ط – ج2 (بيروت – عالم الكتب – د. ت).
11. جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية، ب. ط (بيروت، لبنان–دار الكتاب اللبناني– 1986 م).

12. حسن الباش – القرآن وحوار العقل – طـــ2 (منشورات كلية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس، الجماهيرية – 1430 من ميلاد الرسول ﷺ – 2001 ف).

13. رجب بودبوس : نقد العقل الاقتصادي، طـــ1 – جـــ1 (مصراته – دار الجماهيرية للنشر والتوزيع – 2000 ف).

14. صُبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، طـــ17، إعادة طـــ18 (بيروت، دار العلم للملايين– 1988 م – 1990 ف)

15. صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم – طـــ17 (دار الوفاء، المنصورة – مصر – 1426 هـــ – 2005 ف).

16. عائدة صالح الزياني : أثر الخيال في العلم الفني (رسالة ماجستير)، (جـــامعة قاريونس، بنغازي – 2006/2005 ف).

17. عبدالسلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب – طـــ3 (طرابلس – تونس – الـــــدار العربية للكتاب – د. ت).

18. عبدالفتاح رواسي قلعة جي : مدخل إلى علم الجمال الإسلامي – طـــ1 (دار قتيبة – بيروت، لبنان – دمشق، سوريا – 1411 هـــ – 1991 م).

19. عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة – شرح وتعـــــليق عبـــــدالمنعم خفاجي، عبدالعزيز شرف – طـــ1 (بيروت، دار الجيل – 1411 هـــ – 1991م).

20. عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز – تصحيح وتعليق، السيد محمد رشيد رضا – طـــ6 (القاهرة، مكتبة على صبيح وأولاده – 1380 هـــ – 1960 م).

21. عبدالكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه – طـــ2 (دار المعرفة – بيروت، لبنان – 1395 هـــ – 1975 م).

22. عبدالكريم هلال خالد : الاغتـــراب فـــي الفـــن (دراسة في الفكر الجمالي العربي المعاصر) – طـــ1 (بنغازي، جامعة قاريونس – 1998 فـ).

23. عبدالوهاب النجار : قصـــص الأنبيـــاء – طـــ7 (دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1406 هـــ – 1986 م).

24. الغـــزالي : مجمـــوعة رســـائل الإمـــام الغـــزالي، طـــ1 (بيروت، لبنان – دار الفكر – 1424 هـــ – 2003 فـ).

25. الفارابي : تحصيل السعادة – تعليق وشرح، علي ملحم – طـــ1 (بيروت، لبنان – دار مكتبة الهلال – 1995 م).

26. فائزة أنور الشكري : فلسفة الجمـــال والفـــن – طـــ1 (الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 2004م).

27. كمال الدين مُرسي : فواصل الآيات القرآنية – طـــ1 (جامعة الإسكندرية – المكتب الجامعي الحديث – 1420 هـــ – 1999 م).

28. كمال عيد : فلسفة الأدب والفن – د. طـــ (ليبيا – تونس – الدار العربية – 1398 هـــ – 1978 م).

29. مجمع اللغة العربية : المعجـــم الـــوجيز، طبعة خاصة بوزارة التعليم، جمهورية مصر العربية – 1424 هـــ – 2003 م).

30. مجموعة من الأساتذة : مســـائل فلسفيـــة، د. طـــ (وزارة المعارف، مصر – 1975 م).

31. محمد أبوبكر الرازي : مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر بك – طبعة خاصة (بيروت، دار الفكر، دار القرآن – 1392 هـــ – 1972 م).

32. محمد الطاهر ابن عاشور : تفسير التحـــرير والتنـــوير، د. طـــ (الدار التونسية للنشر– تونس– 1984م).

33. محمد سعيد غيبة : تكريم الخالق للإنسان، ط2 (دمشق، سوريا – دار المكتبي – 1420 هـ – 2000 ف).

34. محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، ط9 – 3 مجلدات (القاهرة، دار الصابوني– د.ت).

35. محمد قطب : منهج الفن الإسلامي، ط5 (بيروت – القاهرة دار الشرق – 1401 هـ – 1981 م).

36. محمد كريم الكواز : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم – ط1 (طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – 1426 ميلادية).

37. محمد متولي الشعراوي : عقيدة المسلم – أشرف عليه، أحمد الزغبي – د. ط (بيروت – دار القلم – 1421 هـ – 2000 ف).

38. مصطفى إبراهيم الرعيض – العدول في أسلوب القصص القرآني (رسالة ماجستير) جامعة 7 أكتوبر – مصراته – 2006/2005 مسيحي.

39. مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – ط8 (.....، دار الكتاب العربي – د. ت).

40. مصطفى عبدالرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – ط3 (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة – مكتبة النهضة المصرية – 1386 هـ – 1966 م).

41. مصطفى عبده : المدخل إلى فلسفة الجمال – ط2 (مكتبة مدبولي، القاهرة – 1999 م).

42. مصطفى غالب : فلاسفة من الشرق والغرب – ط1 (بيروت – منشورات حمد – 1968 م).

43. عبدالرحمن السهيلي : التعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام – دراسة وتحقيق، عبدالله محمد علي النقراط – ط، 1 (منشورات كلية الدعوة الإسلامية لجنة الحفاظ على التراث الإسلامي – طرابلس، الجماهيرية – 1992 م – 1401 و.ر).

44. سعيد الفاندي : من خصائص الدلالة القرآنية – مجلة كلية الدعوة الإسلامية – العدد 15، (طرابلس، الجماهيرية العظمى 1998 ف).

45. مراد عبدالجبار يوسف المطلب : طبيعة اللغة العربية وسماتها – مجلة كلية الدعوة الإسلامية – العدد 15 (طرابلس – الجماهيرية العظمى – 1998 ف).

فهـــرس الموضـــوعات

ت	البيـــــان	الصفحة
1	الإهـــداء	
2	الشكـــر	
3	المقدمـــة	1
	الفصـــل الأول	
	مفـــاهيم عـــامة	
4	تمهيـد / الإســلام دين الفن والجمال	09
5	أ. مفهـــم الصـــورة الفنيـــة	14
6	ب. مفهـــوم الجمـــــال	20
7	جـ. مفهوم الجمال في الفلسفة اليونانية	28
	الفصـــل الثـــاني	
	الجمال في المنظور الإسلامي	
9	تمهيـد / الفلسفـــــة الإســـلاميـــة	37
10	ب. الجمـــال في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي	42
11	جـ. المشاهد الجمالية وأثرها على النفس البشرية.	55
	الفصـــل الثـــالث	
	جماليات بلاغية وفنية في القرآن الكريم	
13	أ. الأسلوب القرآني وجماليات التصوير بالاستعارة	67
14	ب. جماليـات الموسيقا في فواصل الآيات القرآنية	78
	الفصـــل الرابع	
	صـــور ومشـــاهد فنيـــة قـــرآنية	
16	أ. سمـــات الجمـــال القـــرآنـي.	91
17	ب. تناسق المشاهد الجمالية في الكون والإنسان.	101
18	جـ. مشـــاهد الجمـــال فـــي الجنـــة.	112
19	**الخاتـــمة**	123
20	قائمة بالمصادر والمراجع	126
20	فهـــرس الموضـــوعات	131